روايات عبير

٤٣١

غرام الجيران ... !

www.elromancia.com

مرمورية

روايات عبير

No: 431

- إن حياتك هي عدوتك ٠
- كيف يمكنك أن تقولي هذا ؟
- لقد اشتريت قطاراً اليوم ٠

ردت عليه وهي تضم شفتيها بقوة :

- متى تصبح بالغاً يا ديفيد ؟
- أنا بالغ ٠

ردت عليه مستنكرة وهي تندس الى الحمام :

- طبعاً لا ٠٠ أنت لا تفكر إلا في اللعب ٠
- وماذا إذن ؟ أنت تلعبين أيضاً بالفيولونسيل (الكمان الجهير الصوت) ٠
- حسناً ٠٠ إنني أعزف الفيولونسيل ، ولكن الأمر يختلف وأنت تعرف تماماً ذلك ٠

www.elromancia.com

ثمن النسخة

لبنان	٢٠٠٠ ل	الكويت	٧٥٠ ف	مصر	قرش جنيه ٥٠٠
سوريا	٧٥ ل	الامارات	١٠ د	المغرب	
الأردن	١ د	البحرين	١ د	ليبيا	١ د
العراق	٥٠	قطر	١٠ ر	تونس	١.٥ د
السعودية	٦ ر	مسقط	١ د	اليمن	٧٥ ر

CanadA
U.K
France 15F.F
Greece 1200Drs.
CYPRUS 1.5 P.

تقديم

لاحظ "ديفيد دود" - وهو مصور فوتوغرافي ربح جائزة في اليانصيب قدرها خمسة ملايين دولار- أن جارته دائما في عجلة من امرها ولا تغير ملابسها ولا عاداتها.

يحدث ان يسقط شيء من طائرة مروحية فوق سقف منزل بطلتنا "كاترين" فيحطمه ويخترقه .. ويلاحظ "ديفيد" ما حدث فيسرع لنجدة جارته التي وقفت مذهولة امام حطام حجرة نومها.

يحاول أن يسري عنها .. ويعرف منها انها موسيقية تعزف الة الفيولونسيل "الكمان الجهير" وتعطي دروسا في الموسيقى . وتتلقى دروسا ايضا في الموسيقى حتى تواجه اعباء استئجار منزلها في هذا الحي الراقي : خاصة ان مواردها قلت بعد طلاقها.

يحاول "ديفيد" ان يخرجها من ازمتها ويقع الاثنان في هوى بعضهما البعض . ولكن اختلاف الطباع يجعل "كاترين" ترفض الارتباط به.

تدور احداث مثيرة ومسلية وهزلية: خاصة عندما يكتشفان ان المنزل مراقب من الشرطة . وتستمر سلسلة المفارقات إلى النهاية.

شخصيات الرواية

"كاترين فين" : عازفة "فيولونسيل(نوع من انواع الكمان) مطلقة وتعيش بمفردها في حي راق.

"ديفيد بيتر دود": مصور فوتوغرافي كف عن العمل لحصوله على جائزة يانصيب قدرها خمسة ملايين دولار.

"اليزا هو كنز" : امراة عجوز في السادسة والستين من عمرها . تستاجر حجرة في منزل "كاترين".

"هوارد بيرك": ضابط شرطة وصديق "ديفيد".

"ميشيل" و"جريس فين" : والد ووالدة "كاترين".

www.elromancia.com

الغلاف الأمامي

رد "ديفيد"

- انا هذا الرجل .

قالت "كاترين"

- إن العلاقات العاطفية لم تعد تكفي

- وما الخطأ في هذا ؟

"ديفيد" ! ليس عندك شيء بالمرة . انت تلعب كالطفل طوال النهار ، وتقرأ المجلات المصورة

- كوني أحب لعب الأطفال والمجلات المصورة لا يعني انني لااهتم بشيء آخر . انا اقرأ الصحيفة والروايات العاطفية واقرأ ما هو مكتوب على العلب المحفوظة .

أخرج علبة عصير برتقال من الثلاجة وصبها في كوب ثم شربه دفعة واحدة .

- أنت تقللين من قدري ، وتريدني غير جدير بك .

- حسنا .. أنت تقرأ ما على العلب المحفوظة، وماذا ايضا؟

- وأقوم برسم المجلات المصورة .

الفصل الأول

شغل صف من سبعة مبان جزءا من مجموعة بيوت في شارع "ني" من بينها ستة مبان على الطراز الكلاسيكي الضيق مبنية بالطوب الأحمر ومكونة من طابقين ونوافذها طويلة تنتهي براس سهم والسقوف مسطحة وعلى كل واحدة لافتة تبين تاريخ إنشائها: ١٨٨١ - ١٨٨٤ - ٧٨ ... وكما هي العادة وقتها فإن الطريق للدخول يتم عن طريق خمس درجات من السلم . ويجب صعود خمس درجات أخرى حتى تصل إلى الدور الأرضي . وكانت الأبواب من خشب البلوط الثقيل .. فوقها بروز مقبب .

أما الأفنية فكانت صغيرة ومليئة بالزهور والنباتات من كل صنف وكان سكان شارع "ني" يهتمون بادق تفاصيل تخص مزروعاتهم البستانية ويقضون في العناية بها كل ثانية من وقت فراغهم القليل : لانشغالهم الشديد باعمالهم .

www.elromancia.com

كان هذا الحي من مدينة "واشنطن" يقع فوق "كابيتول هيل" وهو من الأحياء ذات القيمة العالية وقد ارتفعت اسعار العمارات هناك بسرعة الصاروخ . وكان معظم سكانه من أصحاب المهن الطموحين . وكان الشارع متوسط العرض وهادئا ورصيفه من القرميد الأحمر، ومصابيح الشارع القديمة ترسل دوائر من الأنوار فوق اسطح سيارات الـ"بي ام دبليو" و"الجاجوار" و"الفولكس ذات السقف المتحرك وسيارات فاخرة ماركة "ساب"، ووسط مجموعة البيوت المتراصة مبنى متوج فاخر ضخم من العصر الفيكتوري وكانت جدرانه من القرميد طليت بالأخضر الفاتح بينما كانت الزينة من العقد والكرانيش والأشرطة من المصيص بلون ابيض ساطع يعلوها سقف رمادي مائل بحدة، ويخرج منه نصف برج دائري له سقف مخروطي من القيشاني الرمادي ومانعة صواعق ومحددة اتجاه الريح على شكل جواد يعدو له جناحان مفرودان كان مبنى شديد البذخ وسط المباني ذات المظهر المتقشف التي تحيط به .

وكان الساكن "ديفيد بيتر دود" رغم انه من النظرة الأولى لايبدو عليه التبذير ولا يبدو عليه ايضا انه من سكان شارع "ني" بشعره وعينيه، وقامته متوسطة الطول ولا يثير الانتباه خاصة انه هو ايضا لايعير الامر اي انتباه . كان يبدو اصغر من عمره البالغ واحدا وثلاثين عاما كان يقرأ شريطا مكتوبا أعلى الدرج امام بيته عندما سقطت كتلة من السماء لتخترق سقف البيت المجاور له . كانت "كاترين فين" المعروفة بـ"فين الرهيبة" في مطبخها عندما سمعت صوت الفرقعة . اعتقدت في الحال ان هناك انفجارا .

اهتزت مروحة السقف من تاثير الصدمة وكذلك النوافذ اصدرت ازيزا، بينما افلتت حزمة من اغصان "السرخس" من ربطتها وهي معلقة لتتناثر فوق البلاط. افلت فنجان اللبن نصف الممتلئ من بين اصابع "كاترين" وقفز قلبها داخل صدرها .

اطلقت لعنة واندفعت نحو باب الدخول ووقفت في منتصف الطريق لتتنصت . لا شيء او على الأقل لا شيء يمكن ان يسمح لها صوت تنفسها العالي بسماعه

بدأ نبضها يستعيد سرعته العادية مما اتاح لها فرصة التفكير العاقل فكرت انه لو كان هناك شيء يمكن ان ينفجر فلا بد ان يكون في القبو . حيث يوجد هناك ماكينات تصدر ضجيجا غريبا وهي تصدرجميع انواع الشرار والموجات الضوئية .

اخذت نفسا عميقا وفتحت باب الدور تحت الأرضي وتسللت داخله لايوجد دخان اضاءت الشابة نور السلم ونزلت في حرص . لا يوجد اي لهب ولا اي اثر لانفجار . الأمر غير مفهوم ولم يبق امامها سوى ان تصعد مرة اخرى .

عندما استدارت اصطدمت بـ"ديفيد بيتر دود" واطلقت صرخة مدوية تطلع إليها الرجل من خلال نظارته الكبيرة وساعدها على استعادة توازنها حتى لاتسقط مغشيا عليها

- هل اصابك ضرر ؟

- لقد ارعبتني رعبا لايوصف .

- لقد سمعت الانفجار وحضرت لأعرف إن كان قد اصابك شيء. وكان الباب مفتوحا

لوح بذراعه بحركة مبهمة نحو الباب ثم خلع نظارته منذ ثلاثة اشهر وهما جاران. كانت هذه اول مرة يدخل هذا البيت ولم يتبادل سوى ثلاث كلمات مع مالكته . ولكن هذا لم يمنع من ان يكون رأيا حولها . ووفقا لملاحظاته ومرأى قباته فإنها امراة تثير الرعب الخرافي. دائما متعجلة كانت تقفز من سيارتها ولاتكاد تقول صباح الخير ثم تبحث عن المفاتيح .

وكان دائما ما يقابلها وهي مرتدية معطفا صارم المظهر اسود اللون

ينزل حتى عقبيها ، وتحمل حقيبة كبيرة من الجلد وكيسا من الورق لحمل البقالة ملتصقا بجسمها بينما حملت ملابس معلقة على شماعة ومغطاة بكيس بلاستيك شفاف مما تصنعه المغاسل العامة لتغطية الملابس بعد التنظيف .

وفي كل مرة تقريبا تجر عربة حمل الحقائب عليها حقيبة كبيرة من الجلد عليها ملصقات باسماء شركات الطيران.

لما كان "نود" لا يعرف اسمها فقد سماها "المراة الغامضة" ، وكان النشاط الرهيب الذي تبديه في المسافة من الرصيف حتى منزلها يذهله. وتحيتها "صباح الخير" المجردة من اي تعبير شخصي كانت تخرجه عن وقاره ، وكان يكره معطفها الأسود .

وعندما ثبت كره "ديفيد" لذلك المعطف احس ان هناك شيئا غير مريح يجري عندها . إن ذلك الزي الذي لايجب ان يزيد في عينيه عن كونه زيا عتيقا مهلهلا دون شك وترتديه امراة مجهولة اصبح عنده نوعا من الاضطهاد الفكري الحقيقي.

هذا ما يؤدي إليه الفراغ الذي هو مفسدة للمرء اي مفسدة.

لقد وصل به الحال إلى الاهتمام الزائد بهذه الجارة التي ينبغي الاتثير اهتمامه على الإطلاق.

تساءل : هل تعيش مثله وحيدة؟

بعد ذلك طرأ على باله سؤال اخر الح على ذهنه : ماذا يمكن ان يخفي ذلك المعطف الأسود تحته ؟ ربما لايخفي شيئا على الإطلاق.

الآن والمراة الغامضة على بعد سنتيمترات منه اخذ قلبه يدق كالمجنون . لقد كانت اصغر مما كان "ديفيد" يتصور ، ذات هيكل عظمي رفيق وعينين واسعتين خضراوين وبدا ان جسمها رشيق .

قالت وهي تضع قبضتها على جبهتها وسط شعرها الخفيف ذى التموجات الرقيقة :

- إن كل شيء عادي هنا . لست افهم شيئا.

- لا اعتقد ان الأمر وصل إلى القبو.

قالت "كاترين" وهي تنظر إلى محدثها في غيظ:

- عن اي شيء تريد ان تتحدث ؟

- عن ذلك الشيء الذي اخترق سقف بيتك. لا بد انه توقف عند الدور الاول

- شيء ما اخترق سقفي ؟ لقد اعتقدت انه انفجار في القبو .

- في رايي أن الشيء الوحيد الذي انفجر هو زجاجة اللبن ، والدليل انه يغطي بلاط المطبخ .

- انتظر لحظة حتى أستطيع أن أراجع الأمر. إذا كنت قد فهمت كلامك فإنك رايت قذيفة تخترق سقفي .

- لقد سمعته اكثر من اني رايته . في الحقيقة لقد كانت هناك طائرة هليوكوبتر بضوضائها المعتادة. ثم فجاة...

اطلق الرجل صفيرا طويلا من بين اسنانه.. انتهى بكلمة "بوم" عالية قبل ان يكمل :

- في وسط بيتك.

لم تنتظر "كاترين" اكثر من هذا وصعدت السلم كل اربع درجات مرة واحدة

كانت هناك حجرة واحدة تشغل الطابق كله ومن المدخل تصل إلى الصالون الصغير .. حيث يفصله عقد قبة من خشب "الابلكاش" عن صالة الطعام . بينما يوجد مطبخ في نهاية الحجرة ثم حجرتان وحمام في الدور العلوي .

تسمرت "كاترين" في مكانها على عتبة الحجرة الامامية واطلقت صيحة دهشة . كانت الكمرات الحاملة للسقف محطمة واجزاء كثيرة ومنوعة من النجارة مبعثرة في كل اتجاه وحافات مشرشرة لفجوة

ضخمة في السقف ، وقطع من الجير منثورة هنا وهناك . بينما اخترقت اشعة الشمس الفجر وغبار ناعم يسبح في الهواء وكانه بودرة سحرية.

كان السرير الضخم قد انهار بعضه على بعض وقد برزت قطعة معدنية مكسورة من وسط المرتبة . صاحت :

- يا إله السموات ! ماذا حدث ؟

قال "ديفيد" وهو يقترب في حذر:

- لست واثقاً ولكني اعتقد ان هذا حامل كاميرا "الهليوكوبتر". إنني اعرف التصوير ، وقد حدث ان قمت بالتصوير من الطائرة لقسم إضافي جديد في معرض "فيرناكس كونتي" وكانت لدينا كاميرا فيديو إضافية مركبة على حامل من هذا النوع.

ظلت "كاترين" مذهولة.. قطعة من الهليوكوبتر اخترقت سقف بيتها ! كل شيء منطقي. فقد كان هذا الاسبوع أسبوع سعدها .

في يوم الأربعاء اعلنها محاسبها ان الضرائب التهمت جزءا من داخلها. وتحرر لها جنحة سريعة يوم الخميس واخبرها صاحب المصبغة اليوم ان بقعة صغيرة غزت معطفها الأسود المفضل عندها.

لقد تجاوز الأمر الحدود بالنسبة لـ"كاترين فين" . لقد كانت موسيقية محترفة ، وبدات اختبارات الاستماع وهي في السابعة من عمرها. وفي سن الثانية عشرة تعرضت لتوترات عصبية وإذلال ورفض من معظم الناس في حياتها كلها .. وكذلك الكثير من الجوائز والنجاح . لقد تعلمت منذ صغرها كيف تحمي شخصيتها من العواطف والانفعالات التي لم تكن من طبيعتها .

قالت وهي تشير إلى أسفل السرير:

- اتعرف ما هذا ؟ إنه فرش جديد ثمنه ثلثمائة دولار وهو محشو بريش الاوز الصافي يدفئ في الشتاء .

رفع "ديفيد" حاجبيه ونظر إلى الفراش في حسد .

- انت تتصور بالطبع ان لحاف الاوز ينمو على الشجر ؟ حسناً .. لا والآن من سيعوضني؟

مررت يدها بعصبية في شعرها ثم استانفت:

- لابد أن اتصل بالتامين والشرطة والمطار .. اه السقف.. اتصل بنجار .. يا إلهي ونحن الآن في يوم السبت ولن اجد واحدا ابداً اليوم. ثم إذا بدات تمطر ؟ وإذا انتشر الخبر ؟ فإن المشردين والمخدرين يمكن ان يبدعوا في القفز خلال الفتحة على راحتهم . اللعنة!

اغمضت الشابة عينيها وبدا عليها شكل الفهد الذي لم ياكل منذ ايام.

تاملها "ديفيد" وهو متاثر . كانت عيناها تطلقان شررا بلون الزمرد. بينما بدا كان شعرها سرت فيه الكهرباء . امسك بسماعة التليفون الموضوع بجوار السرير وطلب رقما :

سالته:

- من ستطلب ؟ الشرطة؟

- لا وإنما ساطلب المطعم المجاور. ولدي إحساس ان وجبة لن تضرنا.

ركزت "كاترين" عينيها عليه وادركت انها لا تعرف اسمه. صحيح انه ظهر في المنطقة من ثلاثة شهور إلا انهما لم يتعارفا ابدا، يالها من جارة مهملة . إنها لم ترحب به ابدا ولم تدعه على فطير وشاي، ومع ذلك ها هو يسارع إلى نجدتها في اول مشكلة فكرت انه فعلاً رجل يهتم بالآخرين وها هو يطلب "بيتزا" ! قالت :

- هل هذا هو علاجك المعتاد مع النساء المهووسات؟

دس يديه في جيبي الجينز القديم حائل اللون والذي به ثقب عند الركبة وكان يرتدي قميصا من الفانيلا باللونين الأزرق والاسود مفتوحا على "تي شيرت" بلون سماوي وقد وضع قدميه في حذاء تنس

جديد ابيض . واخذ ينظر إليها ثم رد :

- لا .. ولكني قلت : إن الوقت مبكر على احتساء شراب مهدئ.

- فعلا

إنها لاتعرف اسمه فحسب وإنما ايضا لا تعرف إن كان متزوجا.

لقد ادهشها ان تدرك كم هو جذاب .

كان مظهره عن بعد غير واضح وكانه صبي ، ولكن جسمه عندما تقترب منه كان كتلة من العضلات . كان الرجل ذا قامة متوسطة الطول وعيناه ذاتي جمال بني غامق . كانت عيناه تبدوان ثاقبتين نكيتين وتعطيان مظهرا من التشكك والعناد يشوبهما بعض المرح .

قالت وهي تمد له يدها مصافحة :

- لا اعتقد اننا التقينا حقا .. أنا "كاترين فين" والجميع ينادونني "كيت"

"ديفيد بيتر دود" !

- لقد كنت جارة لا تعير انتباها للجميع .

- نعم

ارتفع انف "كاترين" قليلا وهي حركة احتقار تستخدمها عندما تضطر إلى وضع الدفاع، وهي عادة اكتسبتها على مر السنين من المواجهات مع اربعة إخوة ومجموعة من مدرسي الموسيقى غريبي الاطوار ومغرورين . قال لها "ديفيد" وهو يبتسم :

- محاولة جيدة ، ولكنها لاتفلح معي . كان من الواجب عليك أن تقدمي لي فطيرة . لقد صنعت لي "ماري بيرسون" التي تقيم على الجانب الآخر واحدة والسيدة بتلر" في البيت الذي على الناصية ايضا

كتمت الشابة اعتراضها ومنعت نفسها من ان تقول كلاما فظا حول هاتين السيدتين . وإن كانتا شخصيتين ساحرتين وهو ما يجعلها

تحس بالجنون فقد كانت نوافذ بيتيهما نظيفة دائما بطريقة غير معقولة. وكانتا تعلقان على ابوابهما الزينات الخاصة باعياد الميلاد وتصنعان حلوى لجيرانهما والحساء للمرضى .

وهما بالنسبة لها مثلان لايحتذيان باعتبارها تترك اكاليل الزهور الخاصة بالكريسماس ستة اشهر معلقة دون ان تعنى برفعها . كما أنها لم تصنع ابداطبقا واحدا من الحلوى . قالت له :

- لقد كنت انوي ان اصنع لك واحدا ولكني لم أجد لدي الوقت اللازم

- لم يفت الوقت ويمكنك ان تصنعي طبقا اليوم.

- لا تكن ملحا هكذا.

زاد اتساع ابتسامة الشاب

- إنني فقط اريد ان اساعدك وارفع عنك عبء الشعور بالذنب الثقيل وغير المجدي.

- إنه اهتمام رقيق منك وإن كنت اعترف لك بان المطبخ ليس من هواياتي المحببة .

رد "ديفيد" وهو يجرها نحو السلم:

- ومع ذلك فهو ليس صعباً . إن لدي وصفة فطيرة سماوية الطعم لاتقاوم ولما كان لايبدو عليك هيئة ربة البيت فإنني سأقوم بإعدادها

- لحظة من فضلك ، ماذا تعني حقا "هيئة ربة البيت"؟

- إن ربات البيوت يعرفن صناعة الفطائر وحجراتهن في العادة مليئة بالاثاث.

قال ذلك عند نهاية السلم وبعد ان القى نظرة على الصالون وصالة الطعام الخاليتين من الاثاث

قالت "كاترين" بعد ان تبعت نظراته :

- إنني مطلقة وكان عندي اثاث وكل لوازم البيت طبعا فإن مقعدا وبعض الاشياء التافهة قد تكون نافعة ولكن لا يبقى معي فرنك واحد

في نهاية الشهر.

ظلت فترة تائهة في افكارها وهي تتذكر الاماكن في ايام "انا تول" وقد امتلات بالمقاعد ذات المساند من الجلد الاسود اللامع ومجموعة ضخمة من الاشياء المصنوعة من الصلب المطلي بالكروم اللامع التي كانت تكرهها دائما" واضافت:

- طبعا هذا الوضع الحالي اسهل في استعمال المكنسة الكهربائية.

- انا اسف بالنسبة لطلاقك.

- اوه! إننا لازلنا صديقين ولكننا ببساطة لم نخلق لنعيش سويا، وكان طلاقنا هدنة اكثر منه إخفاقا

مد "ديفيد" يده كي يلف خصلة من شعرها حول إصبعه .

- إذن أنت من الصعب الحياة معك . اليس كذلك؟

خلصت شعرها من إصبعه بحركة حادة من راسها

مستحيل المعيشة معها !

- انا على العكس شخصية من السهل العيش معها . فانا لطيف جدا.

تبعها إلى داخل المطبخ. رفعت حاجبيها دهشة.. لقد كان فعلا لطيفا إلى درجة اخافتها وهددتها.

إن انجذابها لهذا الرجل يدير راسها ويجعلها تشعر بفضول حاد وعدم ارتياح .. اخذ فطيرة جافة من كيس الورق المليء بالبقالة وسالها:

- الا تجدينني لطيفا؟

كان يعرف انه لطيف . كونه غير مرئي ولطيف فهما ميزتان موهوب بهما ومن الممكن ان يستغلهما كمهنة.

- إنك تبدو وقحا في هذا الأمر.

- نعم ، وهي نوع من اللعنة.

امسكت كاترين بمصمصة واخذت تزيل اللبن المسكوب من فوق

الارضية. سالها:

- هل تفضلين التنظيف على استدعاء الشرطة؟

- أستطيع أن أستدعيهم بالتليفون ، وليس في ذلك مشكلة .

بعد ساعة من التهامهما البيتزا قادا احد المحققين من هيئة الطيران المدني إلى الدور المصاب، شحب لون القادم وأطلق سبابا عند رؤيته المنظر الرهيب وقال للشابة - قبل أن يصور السقف والحجرة ويجمع كرتونة كاملة من الأشياء المحطمة -:

- حمدا لله أنك لم تكوني في السرير، وساتصل بك فور استبيان الأمر.

وصل ممثل شركة التامين الخاصة بـ"كاترين" بعد ذلك بربع ساعة ، وقال وهو يتامل الفجوة في السقف :

- إن الأرصاد الجوية تنبأ بالمطر وانخفاض الحرارة.

اطلقت "كاترين" زفرة .. إن كل هذا غير عادل. لماذا تحدث لها هذه الكارثة هي بالذات ؟

رن جرس المنبه الموضوع فوق مائدة السرير في اللحظة التي سمعت فيها صوت منبه اخر في المطبخ . ضربت جبهتها بقبضتها.

- اللعنة وكل اللعنات!

سالها "ديفيد" وهو يسكت المنبه:

- ماذا حدث ؟

فتحت دولاب الملابس واخرجت حقيبة ملابس .

- إنني تاخرت ! إنني لم استطع تذكر الموعد وعندما رن المنبه هنا والاخر هناك فإن معنى ذلك انه لم يبق امامي سوى نصف ساعة للذهاب إلى مركز "كنيدي" وارتدي ملابسي . اليوم نقدم حفلاً صباحياً خاصا . كنت اعلم انني سانسى.

القت بمعطفها المصنوع من الجلد الفرو فوق كتفيها وانطلقت في

نحو حجرتها وقالت:

- هل يمكن أن تعتني بكل هذا من اجلي يا "ديفيد"؟ أغلق الباب عندما ترحل . وشكرا على البيتزا.

ثم اختفت في لمح البصر.

***

عند عودتها كانت السماء تمطر مدرارا . جرت الشابة إلى سيارتها وقادتها إلى سقيفة المدخل حيث اخذت تبحث عن مفاتيحها . كان الحفل الموسيقي قد تبعه حفل استقبال وعشاء إجباري بدا لها انه لن ينتهي . ارتجفت وهي تحس بقطرات من المطر تسيل في ظهرها ومن عنقها إلى فتحة الـ"تي" شيرت" . اه لو كان معها المعطف الأسود لقد اختفى للأبد بين يدي المصبغة . لقد كان معطفا ينفعها نفعاً كاملاً. فهو ليس حاراجدا ولا خفيفاً ولا طويلاً ولا قصيرا فهو معطف كل المناسبات . والآن لم يعد معها بعد الآن تماما مثل سقف منزلها . اللعنة ! وجدت أخيرا المفتاح وتوغلت في المدخل وهي تشعر لأول مرة بعدم الأمان في منزلها الخاص . كل ذلك لأن حامل كاميرا غزا عشها الهادئ . إنه حامل كاميراغبي . هزت شعرها المبتل وبدات "كاترين" تصعد السلم في خوف

أضاعت حجرة نومها وعضت على شفتها عند رؤية الفجوة . كان من الممكن أن تموت دون شك. إنها تحس كانها بجاجة مبلولة والماء يتساقط من الفجوة . سمعت صوتا آتيا من أعلى . إنه صوت أقدام فوق السطح . ابتلعت " كاترين" ريقها بصعوبة. لقد وصل الأشرار بالفعل ! عليها أن تحصل على سلاح في الحال. بحثت بين أشياء عديدة مثل فرشاة للشعر وقميص نوم وعلبة زبادي إلى أن وقعت يدها على رشاشة عطور من الكريستال.

قالت وهي توجه الرشاشة نحو الفجوة :

- ذلك الشخص الموجود على سقفي من الأفضل له الا يقترب لانني مسلحة.

رد عليها صوت "ديفيد دود" من فوق السطح

- هذا ليس سلاحا وإنما رشاشة عطور.

طرفت الشابة بعينيها نحو الدور الثاني المعتم

- ماذا تفعل هناك؟

- احاول أن اصلح سقفك وكان من الممكن أن انتهي من ذلك لولاانني اضطررت للتجول في كل المدينة كي اعثر على لوح بلاستيكي بهذا الاتساع.

اختفى وظهرت الواح من الخشب وسط فتحة السقف. قال الرجل

- اتعشم الا يضايقك هذا - الليلة - لانه كل ما استطعت ان أجده اليوم.

سمعته يسير فوق السطح ويميل كي يضع لوح البلاستيك في مكانه فوق الواح الخشب ثم سمعت صوت ضجة اوراق تتمزق، وسقط "ديفيد كالصخرة مخترقا السقف العلوي وسقف الدور الأول ليستقر بكل ثقله فوق ما تبقى من السرير . وكانه كتلة صماء.

الفصل الثاني

كان جسده مدفونا وسط الفراش وعيناه مغمضتين وقرر الا يتحرك .

تملك "كاترين" قلق رهيب .

همست وهي تستند في رعب على السرير:

- يا إلهي !

انحنت على جارها فاقد الوعي وفكت سوستة معطف المطر الذي كان يرتديه ووضعت يدها على قلبه وصاحت :

- "ديفيد" !

تاوه الرجل وهو يفتح إحدى عينيه.

قالت وهي توشك ان تنهار من الشعور بالخلاص :

- حمدا لله .. لقد اعتقدت انك مت.

فكر "ديفيد" انه لو مات لوصل مباشرة إلى السماء. في الحقيقة كانت المراة الغامضة جالسة فوق ساقيه ويدها الحارة فوق صدره إنه

الفردوس.

قالت الشابة وهي تنحني اكثر فوقه:

- إن قلبك ينبض بشدة.

طبعا كان ينبض بشدة وهذا الوضع يهدد بان يصبح خطيرا . امسكها بقوة من كتفيها وجعلها تنهض.

- كل شيء على ما يرام وكل ما هناك انني كنت طائشا.

بدا "ديفيد" يجمع اشلاءه المبعثرة كي يكتشف في ذهول ان شيئا منه لم ينكسرولكن مجرد كدمة على جبينه وعلى طرف انفه . رسم ابتسامة ماكرة على شفتيه ثم خفض جفنيه .

- ابتعدي عن طريقي يا امراة .. امامي ثار من ذلك السقف..

- لا تقل : إنك ستصعد إلى هناك!

- اوه .. طبعا سافعل .. هيا .. نحن الأبطال لا يمكن ان يمنعنا مثل هذه التفاهات .. إن انسة في حالة ياس في مكان ما .. هيا بنا نجري وسنهاجم لننقذها.

تبعته "كاترين" إلى الدور الثاني وفتحت له باب السطح وهي تقول :

- كن حذرا!

- هل يضايقك لو جرحت ؟

- طبعا نعم! على اية حال انت جاري .

- ها !

- حسنا وانت شخص لطيف.

- فعلا. اليس هناك شيء اخر؟

اصبح صوته اكثر عمقا وهو يميل نحوها وبصوت يعطي إحساساً بانها تعرف صاحبه من زمن بعيد كانه يقول لها: إنها المراة الوحيدة على وجه البسيطة التي تهمه. سالته:

- هل تعيش بمفردك؟

- طبعا .

- لم تتزوج؟

- لا على الإطلاق .

- خاطب؟

- ولا هذا .

- إذن أنت تعاني كره النساء ؟

- لا.. ويمكنني أن أحلل دمي لأثبت العكس !

- ربما فيما بعد .

- آه .. هل أعتبر هذا وعدا؟

- لا تتعشم كثيرا فانا عفوية ومتقلبة المزاج بالنسبة لكل شيء عدا الحب .

- إن الحب موضوع جاد.. أليس كذلك؟

- بالضبط .

- رائع .. انا بالضبط نموذج جاد .

ابتسمت الشابة.

- أعرف وقد اكتشفت ذلك من ثقافتك الأدبية الرفيعة فانت لاتقرا سوى "ميكي" و"تان تان".

- نعم والرجل الوطواط .

- آه.. فهمت . الرجل العنكبوت وهذا دون شك بفضل الطرق الفنية الرائعة التي استخدمتها في الصعود إلى سقف بيتي. أليس كذلك ؟

- إن سقفي وسقفك متلاصقان وقد استخدمت سقفي للقفز إلى سقفك، وبمناسبة سقفك فإنني سأعود إليه و..

رأته "كاترين" يختفي في العتمة . قالت في نفسها : إن هذا الولد لا ينقصه الوقاحة والجراة وهي أيضا لديها هذه الخصلة . صاحت:

- ماذا تفعل هناك ؟ هل كل شيء على ما يرام ؟

- نعم لقد وضعت لوح البلاستيك في مكانه وبقي أن أثبته على الألواح حتى أمنعه من أن يطير

كان الدور الثاني يقتصر على بئر السلم وحجرة واحدة فسيحة وكانت الضوضاء تتردد بين النوافذ الخالية من الستائر وبين الأرضية أما النور الذي كانت تسمح به الفجوة فإنه يغطي الجدران العارية

قالت الشابة عند عودة "ديفيد":

- إنه حقا أمر فظيع . إن المرء يظن انه فيلم رعب فيلم رعب رهيب وحجرتي لانزال محطمة.

- وإنت في حاجة إلى مشروب منشط . وانا محتاج إلى التجفيف فما رايك ان نذهب إلى بيتي ؟

- لست ادري إن هذا يعطيني إحساسا بانني اهجر سفينتي وهي تغرق

قال لها وهو يجرها إلى الدور الأرضي

- إن سفينتك لن تغرق ولن يحدث لها شيء إذا تركناها في حالها وصدقيني لانني اعرف هذه الأمور

- آه . نعم ؟ وكيف عرفتها؟

- لقد سبق ان تعرضت للهجر ولم يحدث لي شيء

- على الإطلاق؟

- تقريبا على الإطلاق. في الحقيقة لقد اعتبرت ذلك رهيبا لانني إنسان ولكني لا أعتقد أن ذلك يحدث للمنازل اعتقد انه ليس لديك معطف ضد المطر ؟

- لا . لقد كان عندي معطف أسود عملي جدا ولكن في آخر زيارة له عند محل التنظيف قضي عليه. ولكن عندي مظلة في مكان ما

إن المعطف لم يعد موجودا احس "ديفيد" بالمرح داخله خلع السويتر المضاد للمطر الذي كان يرتديه والبس الشابة إياه.

- طبعا .

- لم تتزوج؟

- لا على الإطلاق .

- خاطب؟

- ولا هذا .

- إذن انت تعاني كره النساء ؟

- لا.. ويمكنني ان احلل دمي لاثبت العكس !

- ربما فيما بعد .

- اه .. هل اعتبر هذا وعدا؟

- لا تتعشم كثيرا فانا عفوية ومتقلبة المزاج بالنسبة لكل شيء عدا الحب .

- إن الحب موضوع جاد.. اليس كذلك؟

- بالضبط .

- رائع .. انا بالضبط نموذج جاد .

ابتسمت الشابة.

- اعرف وقد اكتشفت ذلك من ثقافتك الادبية الرفيعة فانت لاتقرا سوى "ميكي" و"تان تان".

- نعم والرجل الوطواط .

- اه.. فهمت . الرجل العنكبوت وهذا دون شك بفضل الطرق الفنية الرائعة التي استخدمتها في الصعود إلى سقف بيتي. اليس كذلك ؟

- إن سقفي وسقفك متلاصقان وقد استخدمت سقفي للقفز إلى سقفك، وبمناسبة سقفك فإنني سأعود إليه و..

رانه "كاترين" يختفي في العتمة . قالت في نفسها : إن هذا الولد لا تنقصه الوقاحة والجراة وهي ايضا لديها هذه الخصلة . صاحت:

- ماذا تفعل هناك ؟ هل كل شيء على ما يرام ؟

- نعم لقد وضعت لوح البلاستيك في مكانه ويبقى ان اثبته على الالواح حتى امنعه من ان يطير

كان الدور الثاني يقتصر على بئر السلم وحجرة واحدة فسيحة وكانت الضوضاء تتردد بين النوافذ الخالية من الستائر وبين الارضية اما النور الذي كانت تسمح به الفجوة فإنه يغطي الجدران العارية

قالت الشابة عند عودة "ديفيد":

- إنه حقا امر فظيع . إن المرء يظن انه فيلم رعب فيلم رعب رهيب وحجرتي لاتزال محطمة.

- وانت في حاجة إلى مشروب منشط . وانا محتاج إلى التجفيف فما رايك ان نذهب إلى بيتي ؟

- لست ادري إن هذا يعطيني إحساسا بانني اهجر سفينتي وهي تغرق

قال لها وهو يجرها إلى الدور الارضي

- إن سفينتك لن تغرق ولن يحدث لها شيء إذا تركناها في حالها وصدقيني لانني اعرف هذه الامور

- اه . نعم ؟ وكيف عرفتها؟

- لقد سبق ان تعرضت للهجر ولم يحدث لي شيء

- على الإطلاق؟

- تقريبا على الإطلاق. في الحقيقة لقد اعتبرت ذلك رهيبا لانني إنسان ولكني لا اعتقد ان ذلك يحدث للمنازل اعتقد انه ليس لديك معطف ضد المطر ؟

- لا . لقد كان عندي معطف اسود عملي جدا ولكن في اخر زيارة له عند محل التنظيف قضي عليه. ولكن عندي مظلة في مكان ما

إن المعطف لم يعد موجودا احس "ديفيد" بالمرح داخله خلع السويتر المضاد للمطر الذي كان يرتديه والبس الشابة إياه.

- ضعي هذا إذن والباب ليس مغلقا.

كان منزله في نفس ضيق مساحة منزل جارته .ولكن الجو العام ومظهره يختلفان عنه تماما .. كان مقعدان من خشب السندان الأخضر يشغلان القبو الذي يحتل نصف الردهة الدائرية، وامامهما في المقابل اريكة بدت مريحة ، وشمعدان طويل من النحاس المشغول ، زجاجه من الزجاج الملون بلون اللبن ويرسل ضوءا دافئا إلى الحجرة المقابلة . كان اخر قطعتين من الجمرات مشتعلتين في المدفاة توشكان أن تنطفئا وكانت المدفاة من الرخام الأسود. اغمضت "كاترين" عينيهاواخذت تتنسم الهواء الدافئ ورائحة الخشب المحروق وفطيرة بالتوابل ملات انفها.

قالت:

- لابد أن كل البيوت رائحتها هكذا .. رائحة الفطيرالنيذ الذي تصنعه امي.

- في الحقيقة.. إنها استعدادات حيث تضيف إليها بيضتين مقليتين بالزيت.

تبعت الشابة "ديفيد" إلى داخل المطبخ وتحسست الفطيرة التي كانت على وشك أن تبرد فوق البوفيه .

- إن شكلها لذيذ .. هل صنعتها لنفسك؟

- بالضبط. هل تأثرت؟

قالت وهي تجلس :

- فعلا . انت تصلح السقوف وتصنع الفطيرة وتقدم بيتزا .. هل هناك اشياء أخرى ؟

- تقريبا هذا هو كل شيء.

- في اي مجال تعمل ؟

- إنني بين وظيفتين .

بين وظيفتين ! هذا شيء لم تعرفه "كاترين" ابدا لقد جذبتها الموسيقى وكانها نجمة حياتها . كان الأصدقاء والبيوت والمعاطف والسيارات تمر في حياتها مرورا عابرا دون أن تستقر . ولكن مهنتها لم تتغير تحت اي ظرف من الظروف . إن مهنتها هي عزف الموسيقى وعزفها ببراعة.

- وهل انت في هذا الوضع من مدة طويلة؟

- من حوالي ستة اشهر. وانت ؟ هل انت موسيقية ؟

- نعم .

- اي الة تعزفين؟

- "فيولونسيل".

وضع "ديفيد" الفطيرة في طبق، ثم اعطى سكينا لـ "كاترين" ، وهو يقول :

- هل تسمحين أن تقطعيها قطعا حتى اخذ نشا؟ وارجو أن تضعي عليها الكريمة.

- في الحقيقة لست اعرف كيف اقطع الفطيرة !

- هل انت قادرة على فتح زجاجة ؟

وضع الرجل علبة كبيرة من الكريمة بالشوكولاتة فوق البوفيه ابتسمت "كاترين" و قالت:

- ماذا تبقى لنا كي نخترعه؟

نظر إليها "ديفيد" بجانب عينه:

- الم تضعي قدميك ابدا في سوبر ماركت ؟

- بلى. بدون شك ولكن لم يخطر ببالي ابدا أن هناك كريمة تزيين تباع في علب .ثم إنني دائما متعجلة وامي هي التي تصنع الفطائر بالتاكيد، ولكني لم انتبه إليها ابدا . لم يوجد ابدا استعدادات للطهي في معهد الكونسرفاتوار وعندما اضطررت للقيام بدور ربة المنزل مع "اناتول" كان

الكونسرفاتوار وعندما اضطررت للقيام بدور ربة المنزل مع "اناتول" كان معنا الكثير من النقود ، وكنا نشتري مباشرة من الفطاطري أطباقا جاهزة.

- وماذا كان يفعل ذلك المدعو "اناتول" ؟

- كان يعزف "المزمار" . لقد كان رائعا .

- رائعا في ماذا ؟ في البيت كزوج أو في "المزمار"؟

وضعت "كاترين" كمية ضخمة من الكريمة بالشوكولاتة على الفطيرة وردت:

- في "المزمار" .. كان عبقريا وانا طبعا ولكني على اية حال لم اكن في عبقرية "انا تول" .

بدا "ديفيد" يستثقل دم "اناتول" وكتم لعنة فظيعة ، ومن الأفضل أن يسلك مسلكا مهذبا او على الأقل شيئا متحضرا . قال:

- اعتقد انه من الصعب أن يعيش عبقريات في بيت واحد !

ردت عليه الشابة انها وهي تنظر له نظرة حادة .

- إنه امر فظيع . اتدري إنها ليست الأزمات الكثيرة التي تحدث بيننا ولا تصادم شخصيتينا هما اللذان كانا يثقلان على حياتنا . وإنما الوحدة . كنا مثل سفينتين تلتقيان في الليل. كنا كيانين منفصلين تماما ولا نتلامس تقريبا ابدا وكل منا مشغول بنفسه وهو أمر لم يكن مسليا

اضاء وجهها بابتسامة جعلت "ديفيد دود" يقطع نفسه

- وحتى لم نكن نعرف ان هناك زينة للفطائر

- يجب ان تصدقي ان هناك كل انواع المواهب ...

انبعث بداخله فرح عارم ولم يتركه حتى بعد أن ذهب لينام.

***

فتحت كاترين إحدى عينيها ولفت الشخص الذي يطرق بابها كالطبلة . اندست اكثر في كيس التدفئة الذي يستخدم عادة في

الرحلات والذي اعاره لها "ديفيد" . نظرت إلى ساعتها. إنها السابعة والنصف . من هو الابله الذي يطرق بابها في هذه الساعة المبكرة من الصباح ؟

الا يعلم انها مرهقة ؟ الا يعرف انها اضطرت للنوم فوق سجادة الصالون ؟ كفت الضربات وحل محلها صوت ضجة فوق الدرج الامامي للمدخل. جلست الشابة في مكانها ورات من خلال إطار النافذة الامامية سيدة عجوزا متوسطة الطول . قبضت السيدة على القرميد وهي تقف على قدميها وركزت نظراتها على "كاترين".

صاحت السيدة من خلف الزجاج:

- لقد جئت من اجل موضوع الإعلان عن تاجير حجرة ولكني ارفض ان انام على الأرضية .. هل كل المقيمين هنا ينامون مثلك؟

فتحت "كاترين" سوستة حقيبة النوم وسارت وهي تحجل بقدميها العاريتين حتى المدخل . كان المطر قد كف عن الهطول واصبح الجو بارداوتسللت الرياح داخل قميصها عندما خطت على عتبة الباب.

- ماذا تفعلين عند نافذتي؟

- عندما لم يرد احد على الباب قلت : إنني يمكن ان اتسلق إلى هنا ، وارى كيف يبدو المكان من الداخل.

- حسنا هانا فتحت لك الباب ويمكنك ان تهبطي .

- لا .. إنني لا استطيع النزول .

- رائع ! حسنا ساحاول ان امد لك يدي وما عليك إلا ان تتعلقي بها.

مدت "كاترين" ساقا فوق الدرابزين المصنوع من الحديد المشغول، واستطاعت الإمساك بظهر معطف الزائرة .

- لقد فعلتها .. حاولي التقدم نحوي.

- ولكني ساسقط .

- ولكن لا .. سامسك بك.

- هذه هي المشكلة . انك تسحبينني للخلف.

مدت العجوز "اليزا" يدها واستطاعت أن تقبض على قميص نوم "كاترين" في محاولة يائسة كي تستعيد توازنها ، ولكن الوقت كان قد فات بعد ثوان اختفت المرأتان تلتفان وهما فوق بعضهما .

وقف "ديفيد نود" وفي يده كيس فطيرفوق الرصيف. سأل بصوت عال

- هل أنا أحلم أم لا ؟

لملمت "كاترين" قميص نومها حول ساقيها وحاولت أن تسلكه من سجنه قالت:

- من أين أتيت ؟ ولماذا تأتي دائما بعد الكارثة؟

قال وهو يرمقها من وضعها المنبطح أرضا:

- لقد حضرت من عند الخباز . إنني أذهب إليه كل يوم أحد صباحا لقد كنت أفكر في مدى رتابة حياتي قبل أن ألقاك وفجأة هانت تطيرين في الهواء في قميص النوم.

قالت "اليزا"

- وأنا أليس هناك من يساعدني ؟! لابد أن عظامي أصبحت مائة قطعة

ذهب "ديفيد" لإنقاذها وأعلن لها :

- في المرة القادمة عندما تركبين البلاط فوق السطح استخدمي سلما.

قالت "اليزا" بصوت كالفحيح :

- أنا لا أركب البلاط دائما وإنما أنا هنا من أجل الحجرة.

بعد ذلك الكلام أخذت تضبط معطفها ودخلت المنزل :

- كيف يمكن ألا يكون هناك أثاث في هذا المنزل ؟

أجاب "ديفيد":

- إنه أسهل هكذا في التنظيف.

- أوه ! إنه أمر غريب إلى حد ما . أليس كذلك ؟

إن هذا الأمر لايضايقني ولكن في مثل سني أنا محتاجة إلى سرير ومقعد وتليفزيون .أظن أن الحجرة في الدور العلوي ..!

- نعم ولكنها مخزن مخلفات المنزل القديمة وهي ليست معدة بعد للتأجير.

وضعت "اليزا" يديها في وسطها وقفزت للأمام .

- ماذا تقولين ؟ إذا كانت في حالة لاتسمح بالتأجير فلماذاوضعت الإعلان؟

- لقد حدثت لي مشكلة مساء أمس.

- ماذا ؟ أي نوع من المشاكل ؟

قطعة معدنية سقطت من طائرة "هليوكوبتر" واخترقت سقفي

- آه.ها !

- ثم امطرت قبل أن نتمكن من سد الفتحة.

صعدت "اليزا" السلم وهي تهمهم ووقفت عند العتبة أمام حجرة "كاترين" ونظرت إلى السرير ثم السقف .

- لقد رأيت ما هو أسوأ من ذلك .. أين غرفتي ؟

أشارت الشابة إلى الفجوة في السقف وقالت:

- لقد كنت أنوي أن أؤجر الدور الثاني

- لابد أن يسير الأمر . خبريني: هل هناك نشاط مزعج في هذا الفراش ؟ لأنني لاأطيق تلك الحشرات.

ردت عليها "كاترين" وهي تحس بنظرة اهتمام من "ديفيد"

- لاتقلقي فإن ذلك لايحدث أبدا.

أخذت كيس الفطير من يده واختارت فطيرة بالكريمة وانشبت فيها أسنانها. قال موجها الحديث إلى "اليزا" التي صعدت لترى حجرة المستقبل:

- سنهبط لإعداد القهوة . هل تريدين منها؟

ردت عليه .

- فنجانين بدلا من واحد . كم قطيرة احضرت؟

- ملء الكيس .

هبطت السيدة العجوز لتنضم إليهما ومدت يدها إلى الرجل تصافحه.

- اعتقد اننا لم نتعارف . انا "اليزا هو كنز" . هل انت المالك؟ هل تقدم الإفطار دائما يوم الأحد ؟ لا هذا ولا ذاك . انا "ديفيد دود" الجار المباشر وهي "كاترين فين" مالكة هذا البيت .

- اف ! لا اعتقد ان لديك حجرة للإيجار ياسيد "دود"

- اخشى أن الإجابة "لا".

انهت "اليزا" الحديث وهي تمسك بيد "كاترين" لتصافحها بشدة.

- حسنا لقد استاجرت هنا وتم الاتفاق رغم انك تبدين مخبولة ثم انظري إلى قميص نومك؟ ياملاكي كيف يمكن لشابة صغيرة حبوبة مثلك ان تصنع كل هذا الرعب ؟ لا غرابة في ان سريرك لايعرف اي نشاط.

- إنه قميص نومي المفضل وهو حلو ودافئ وانا احب كثيرا زهور اللافندر الصغيرة المطرزة عليه . هل تعتبر قميص نومي مخيفا يا "ديفيد"؟

- "لا" حقا "لا" على الإطلاق خاصة وانت داخله.

قالت "اليزا"

- اوه ! خذي حذرك ايتها الشابة فإن في ذهن هذا الرجل شيئا ما

هزمت هذه الكلمات مقاومة "كاترين" . إن هذه المراة مباشرة بلا التواء ولا شك ان الإيجار سيدفع في موعده والحجرة ستكون نظيفة وهذا امر واضح. ولعلها لن تستقبل سوى قليل من الأشخاص .

وشخصية صادقة إلى هذا الحد لايمكن ان يكون لها الكثير من الأصدقاء.

قالت السيدة العجوز:

- خبريني الآن ماذا حدث فعلا مع سقفك ؟

- لقد سبق ان اخبرتك . إنها قطعة من "هليوكوبتر" .

- هيا كوني جادة.

- ولكن هذه هي الحقيقة.

- في هذه الحالة . لماذا سقطت بالذات فوق سقفك؟

ارتدت "كاترين" روبا ونعلاً منزليا قبل ان تنزل .

- إنها دون شك ضربة حظ . سيئ .

- هل انت متاكدة من انها لم تطلق عمدا على سقفك؟

- هذا غريب ولكن على اية حال فقد قامت هيئة الطيران المدني بالتحقيق .

- ها ! اللعنة على ما سيجدونه لك ! إنهم سيعودون ليقولوا لك إنهم لم يستطيعوا تحديد الهليوكوبتر. اتنكرين الطائرة الصغيرة التي تحطمت في العام الماضي في "فيرجينيا" ؟ وفقا لاقوالهم كان من المستحيل التعرف على الطيار . و"واشنطن" تعج بالجواسيس ولا شك أن الطيار جاسوس . وخبريني هل انت واحدة منهم؟

جلست "اليزا" فوق مقعد مستدير بدون ظهر في المطبخ

- لا .. انا عازفة "فيولونسيل" واتعشم الا تحملي شيئا ضد القهوة الفورية لان "انا تول" احضر ماكينة إعداد قهوة سريعة كهربائية.

اما بالنسبة لـ"ديفيد دود" فقد كان مؤيدا للقهوة السريعة. اخذ يراقب جارته وهي تتسكع في المطبخ وهي مرتدية الروب المكرمش وشعرها اشعث كانها خارجة من معركة واخذ يتاملها في سرور استانفت المستاجرة الحديث :

- لااريد ان تتصوري انني من النوع الذي يجلس طوال النهار امام قدح قهوة . ولا أز فعل اشياء دنيوية تافهة كل الأيام ، وليس عندي وقت لذلك لانني اعمل .

- وماذا تعملين؟

- إنني ابيع الهامبورجر في "مقهى الناصية" وقد بدات العمل لتوي . وقد اضطررت للكذب بشان سني وإلا اعتبروني عجوزا جدا. ليس من عاداتي الكذب ولكن احيانا يكون امرا لامفر منه .. ثم لماذا لاتستطيع امراة في السادسة والستين من عمرها أن تبيع الهامبورجر ؟ قبل ذلك كنت ابيع المشدات وجراب المسدسات في محل متخصص ولكنهم احالوني إلى المعاش . لقد قضيت اثنين واربعين عاما وانا احاول إبخال تلك السيدات البدينات في المشدات وحمالات الصدور وقد اكتفيت من ذلك العمل

قلبت قهوتها واحتستها وهي تغلي ثم نهضت واعلنت قبل ان تخرج دعنر شيكات من حقيبتها وناولا أحد الشيكات ثم ناولته لـ"كاترين" وهي تقول

- لابد ان اذهب . وهذا هو إيجارك مدة شهر.

ذهبت المالكة الجديدة لتحضر مفتاحا من أسفل "توستر" وناولته للعجوز

- وهذا هو مفتاحك ولكن هناك الفجوة في السقف...

- لا يهمك عندما تقاعدت عن العمل في العام الماضي. تركت شقتي وذهبت إلى دارالمسنين واعتقدت انني ساصاب بالجنون لو استمررت فيها لم يكن هناك سوى عجائز ولا يقدمون طعاما إلا اشياء يبدو انها سبق مضغها تشبه طعام الكلاب . لا، إن هذه الفجوة في السقف لن تزعجني ابدا. ثم إنك قمت بتغطيتها جيدا انا فعلا محتاجة إلى سرير بدون تلك القضبان الغبية على جانبيه.

راقبت "كاترين" الباب وهو يغلق خلف "اليزا هوكنز" ثم سالت "ديفيد":

- هل كنت احلم ؟

- اعتقد انه من الافضل ان تسرعي بالعثور على سرير

- ولكن الامر يقتضي اياما واسابيع وشهورا للحصول على سرير

- ليس ضروريا ارتدي ملابسك وانا سانهب لاستئجار شاحنة نصف نقل وسنذهب لشراء الاثاث

ابتسمت

- لك طريقة رائعة وانت تتكلم بصيغة الجمع

قال وهو يقترب منها:

- إن مساعداتي اقدمها لمن يدفع

- اه نعم ؟ وما الثمن؟

عرفان لانهائي بالجميل وصداقة دائمة ومجاملة من وقت لآخر و اود ان المس هذا الروب الذي لامثيل له من اي مادة صنع ؟ يقال انه من جلد خروف صناعي وردي

- لقد كسبت هو فعلا قل لي هل هذه استراتيجية لمحاولة تدليكي على الاقل ؟

- كم انت سيئة الظن انك ستجرحينني

- إن المرء لايمكن ان يتاكد

- هل تتعرضين للمداعبة كثيرا؟

- إنني افعل ذلك تطوعا

- حقا ؟ هل هذه إهانة؟

-لا بل مجاملة

- اوه حسنا

مد "ديفيد" يده نحوها وداعب شعرها الناعم فوق ياقة الروب دي

شامبر . وقال :

- إنه جميل .

- الروب ؟

- شعرك والروب ايضا .

لقد ادرك انه عاشق مفتون .. بكل غباء هو عاشق ومفتون . اخرجه صوت نفيرحاد من احلامه بطريقة وحشية . قفزت كيت ونهبت لتسكت المنبه المزعج في المطبخ .

- اللعنة ! إن لدي بروفة .. إنني عضو في خماسي موسيقى الحجرة وسنقدم حفلا بعد الظهر

- ياله من يوم مشحون .

- هذا الشيء . إنني اعطي ايضا دروسا ، واعتني باوركسترا صغير . ولدي حفلات موسيقية . اربع امسيات في الاسبوع ثم اتابع دروسا خاصة بي ...

- إن هذا يبدو كثيرا هل تحبين ذلك؟

- طبعا ! الموسيقى هي حياتي

انطلق منبه حجرة النوم بدوره مما جعلهما يمتعضان في غيظ ثم اطلقت الشابة لعنة وتنهد "ديفيد" ثم قال

- اسمعيني .. اذهبي إلى بروفتك واستطيع ان اهتم بحكاية السرير

اجابت "كاترين" التي وصلت اعلى السلم بالفعل

- انت حقا لطيف للغاية .

- ولكن ؟

- ولكن ليس هناك سبب . واعتقد انني استغل صداقتك لابد ان ارتدي ملابسي

انغلق باب حجرتها وظل "ديفيد" على السلم بمفرده . ثم سألها :

- و ماذا عن "اليزا" ؟

- ليس امامها سوى ان تقضي ليلة اخرى في دار المسنين إلا إذا

مرت دقيقة قبل ان ينفتح الباب وتخرج الشابة وهي مرتدية ملابسها الداخلية وحذاء التنس

- اعتقد انني لن استغرق سوى ساعتين بعدها ننهب لشراء مشترياتنا سويا

- وكم ساعة سيستمر حفلك ؟

قالت وهي تنهب السلم :

- اربع ساعات

وضعت يدها على اكرة الباب العمومي عندما استدارت وسارعت إلى الصالون وهي تصيح

لقد نسيت "الفيولونسيل" الخاص بي

الفصل الثالث

تابعا السير نحو الشمال إلى الطريق رقم ٣٩٥ وهو طريق بطول يوتوماك ومرا على مدينة "كريستال" والبنتاجون" وهو مقر وزارة الدفاع الامريكية ثم ظهرت على اليسار المقبرة القومية المعروفة باسم "ارلنجتون" بصفوفها التي لاتنتهي من الصلبان البيضاء. ظل "ديفيد" يقود السياره على الطريق الايمن ، ثم استدار عبر الكوبري التذكاري لـ ارلنجتون" ألفت عليه رفيقته في السيارة نظرة متسائلة عندما ركن عند ركن من شارع الدستور وممر "هنري بيكون" وقال

سأقف قليلا ولن يستمر ذلك طويلا.

اشار باصبعه إلى ملعب كرة قدم على الشمال وبدا ان فريقا يلعب فيه

اتشاهدين هؤلاء الاشخاص ؟ إنه فريق "كاميكيز" الاستاد ونحن نلعب معا كرة القدم كل أحد بعد الظهر. وكرة السلة مساء الخميس

سالته :

- هل انت تنتمي إلى شيء اسمه "الكاميكيز"

سمحت له أن يمسك بيدها كي تخرج من السيارة

- نعم .. انا عضو مؤسس

أخذت "كاترين" تلف اصابعها حول رسغ "ديفيد" وتديرها في حركة تفكير وهي تتساءل حول ذلك الأمر العجيب الذي جعلها من البداية تحب أن تكون بجواره ، وهنا بالذات تكمن المشكلة : إنها تحب ذلك كثيرا ، الطريقة التي يمسك بها يدها ويلف ذراعا حول كتفيها او يعاكسها يشد إحدى خصلات شعرها كل هذا يسرها على اية حال هذه علامات طيبة على إمكان ميلاد صداقة حميمة بينهما . أو كارثة ان تنشا بينهما علاقة عاطفية سالته

- هل ستذهب لتلعب كرة القدم الآن؟

- لا ساقوم باستئجار واحد ليساعدنا في إخراج المراتب من هذه الشاحنة وينقلها إلى بيتك

كان فريق "كاميكيز" الاستاد عبارة عن مجموعة من الاشخاص لهم مظهر شاذ ومتناقض يرتدون احذية مهلهلة وليست لهم هوية محددة ورغم اسمهم والاختلاف الكبير بين اعمارهم إلا انهم بدوا في صحة بدنية ممتازة القى احدهم الكرة إلى "ديفيد" وانقطع اللعب لعملية التعارف انتظر "ديفيد" فترة قبل ان يعلن وهو يبتسم

- من إذن سيساعدني في حمل المراتب؟

بدا أن هذا الإعلان لم يلق اي حماس من احد فاستانف "ديفيد" الحديث

- حسنا شراب منعش وبيتزا

خلع "بني نيوفارمر" سترته في الحال والقى بها فوق النحيل وقال

- إن الجو بارد اليوم ولا يصلح للعب

واعلن اخر ان الشمس تؤذي عينيه بينما قال "سميتي سميث" إنه يتوقع ريحا عاصفا. لايصلح اللعب معها . وحذاء "المونيكول" لم يعد يثبت في قدمه . اما "ردن ميللر" فإن لديه شدا عضليا في عضلة الساق ولا يعتقد انه يستطيع ان يجري بعد دقائق . ربطت "كاترين" حزام الأمان حول وسطها وراقبتهم وهم يسرعون إلى سياراتهم . واثناء طريق العودة تحدث معها، "ديفيد" عن افراد الفريق.

- انا و"ليني نيو فارمر" نعمل سويا . "المونيكول" من رجال الجيش ويسكن في نفس العمارة التي يسكن بها "ليني" ولست اعرف من اين جاء "سميتي"؟! إنه في الخدمة السرية اما "هوارد بيرك" الذي يرتدي الـ"سويت شيرت" المكتوب عليه "نوتر دام" فيعمل في البنك الدولي أو على الاقل هذا ما يقوله و"سميتي" هو الذي احضره لنا.

- "ليني نيوفارمر" هو ذلك الشخص الضئيل. اليس كذلك ؟ ذلك المصاب بالبرد ولديه حذاء فردتاه مختلفتا اللون؟

- إنه هو

- هل عملتما معا ؟

- نعم. يبدو عليه انه متشرد

قال "ديفيد" وهو يبتسم :

- إنه نموذج فريد من نوعه . إننا نعمل في التصوير معا و"ليني" رائع كشخص ولكنه كارثة كمصور فوتوغرافي . لقد كنا شركاء فترة ما .. إنه كارثة!

- في اي فرع من التصوير؟

- حسب الطلب : زواج، صور شخصية، صور مدارس.

- انت لا تحب تلك المهنة .. اليس كذلك؟

- افضل عنها اكل المحار.

انفجرت الشابة ضاحكة قبل ان تقول :

- كيف استطعت ان تعمل في شيء لاتحبه؟

- الأمر سهل : دراسة الفنون التشكيلية ثم عمل ست سنوات عند المصور "اريك" إلى اللحظة التي قررت فيها انني لا استطيع ان اتحمل الأضواء النيون ثانية واحدة بعد ذلك.

- النيون؟

- لقد كنت اعمل في حجرة كالصندوق طوال النهار كعلبة السردين وبدون نوافذ ولا شيء سوى انوار النيون . ثم كان علي ان ارتدي رابطة عنق.

- رابطة عنق ؟ لو كنت مكانك لا ستقلت في الحال .

- اتسخرين مني؟

- اووه .

دخل "ديفيد" بالسيارة إلى الطريق في حذر .

- إن الأمر ببساطة انها لم تكن الطريقة التي يمكن ان تسير بها حياتي . لقد كان يسودني كل عام إحساس بانني افقد جزءا اكثر من اختيار طريقي حتى وإن كنت احصل على مال اكثر عاما بعد عام . لقد القيت نفسي في التصويربعد أن استقلت . كنت أرى الجانب المستقل من الأمر، ولكن في الحقيقة: إنني كنت سريع الملل . والتصويرلايعطيني فرصا كبيرة للإبداع.

قالت له :

- إنني اعتقد ان لدي الفرصة في ان أجدعاطفة في الغريب في حياتي ووجودي.

لم يكن هذا اعترافا منها او تقريرا للحال . ولكنهاقالتها بلهجة غير مترابطة من الفرح والندم؛ جعلتها تحس بان حلقها جاف . مد يده نحوها ليضغط عليها في حنان .

من ناحية هو يحسدهاعلى نجاحها ، ومن ناحية اخرى : إنه لم يكن

له حرية الاختيار من طفولته حتى الآن.

ركن الشاحنة على الصف الثاني امام بيتها ورأى في المرآة العاكسة أصدقاءه يقفون خلفه .

قال لها :

- حسنا .. اطلبي البيتزا وانا ساهتم بالاثاث.

- اتفقنا ! ساضع "اليزا" في حجرة الاصدقاء بجوار حجرتي حتى يتم إصلاح السقف.

بعد نصف ساعة كانت فرقة "ديفيد" قد ركبت السريروكمومبينو صغيرا من اجل "اليزا" .

وأخلوا حجرة "كاترين" من اثار الانفجار ووضعوا بدلا منها سريرا ضخما جديدا . وقفت الشابة على عتبة الباب وبين ذراعيها كومة عالية من المفارش والأغطية وراء افراد "كاميكيز" يمرون امامها واحدا وراء الاخر وكانه عرض ازياء ، ثم ينسلون بسرعة إلى منزل "ديفيد" . قال لها "ديفيد":

- لقد حان الوقت لان ننطلق في نشاط رجالي حيث يجب ان نذهب إلى بيتي لمشاهدة مباراة في الهوكي ونحن نحتسي الشراب المنعش وافضل ان اصحبك إلى الحفل الموسيقي . ما رايك لو اخذتني معك؟

سالته وقد بدا عليها التشكك:

- هل تريد الذهاب حقا؟

- لايمكن ان تتصوري إلى اي درجة .. إنه الشيء الوحيد الذي اريده في حياتي .

رفعت "كاترين" عينيها إلى السماء وقالت:

- اجد صعوبة في تصديق ذلك .

امسك بذراعها عندما استعدت للرحيل وقال :

- انتظري ! إنها الحقيقة واقسم على ذلك .

انا اعشق "الفيولونسيل" في الحفل الموسيقي . كم عدد العازفين في هذا الحفل ؟

- إنه تكوين لموسيقى الحجرة ، وانا العازفة الوحيدة للفيولونسيل".

- هذا افضل .. انا اعشق موسيقى الحجرة.

شكت الشابة في انه يستطيع التفريق بين موسيقى الحجرة واية موسيقى اخرى . لابد انه من ذلك النوع الذي يهز راسه وينعس في مقعده بعد خمس دقائق من إطفاء نور القاعة . ولكنها اعتبرت هذه الفكرة - وهي أن تراه مستسلما في النوم اثناء العزف - فكرة شيطانية ممتعة خاصة وان هذا النوع من الاداء عادة ما يكون رتيبا.

- حسنا اريد الوقت الذي يكفي لإعداد الأسرة واخذ دشأ واصبح مستعدة ... إن العرض سيكون في اكاديمية العلوم.

بعد ساعة صعدت "كاترين" فوق المسرح في قاعة المحاضرات الصغيرة باكاديمية العلوم ، وسرعان ما لاحظت "ديفيد" في الصف السادس.

كانت قد تعودت على ان يراقبها المتفرجون .. ولكن ليس بمثل هذا الفضول الواضح المقرون بالدهشة والإعجاب كما يفعل "ديفيد". كان مظهره جميلا جدا في بذلة من "التويد" والقميص الكاكي ، ورابطة العنق المزينة بالحرير . كان جالساوقد فغر فمه قليلا خلف "سيدني ميلون" الناقد الموسيقي. كان "ميلون" رجلا ضخما وطيبا، جسمه على شكل ثمرة الكمثرى، متوسط العمر ، وهو عبارة عن كتلة من اللحم وسط المقعد في بذلته البيج ورابطة عنقه المغطاة ببعض البقع . ولولا ان من عادته أن ينام اثناء العزف لاصبح ناقدا ممتازا.

حيت "كاترين" الجمهور وجلست على مقعدها القابل للطي ووضعت التها "الفيولونسيل" بين ساقيها .

كانت تلك الحفلات تعجبها وتفضلها فكل لحن تعزفه كان فريدا

وكانت تحب أن تكون مسؤولة مباشرة عن مزاج الجمهور ، وباعتبارها امراة تحب التحدي فقد كانت فرصتها كبيرة لتعطي أحسن ما عندها

وبقدر ما كانت ممتازة في عملها كان "ديفيد" مراقبا جيدا لم يفته شيء وبنظره الثاقب لاحظ التحول الواضح لها من امراة إلى فنانة . حول التركيز وجه "كاترين" إلى قناع ثابت . بينما جمعت خصلات شعرها الأحمر إلى الخلف بمشابك من العاج. ظهر ظل خفيف تحت عينيها وبشرتها. ظل لونها كلون عروس من الصيني الأبيض . كانت ترتدي جيبا طويلا من التافتاه السوداء كان يتكرمش عند كل حركة من جسمها وبلوزة من الأورجانزا البيضاء ذات ياقة مرتفعة وكمين منفوخين على الطراز الفيكتوري حيث ينتفخ صدر البلوزة عند صدر الشابة بينما نزلت من عنقها حبات على شكل اللؤلؤ. كانت تختفي احيانا في وسط استدارة عنقها وتظهر على ظهر عنقها ولم يتصور "ديفيد" كيف دخلت في تلك الملابس دون أن تمزقها.

انهى ثنائي الافتتاحية عزفيهما مع تصفيق الجمهور . تململ "ديفيد" في مقعده وقد استغرق في تامل عازفة " الفيولونسيل" . لم يسبق له أن سمع هذا اللحن

كان دفء سيمفوني" المزدوج منحنى وسط صدره وقد اغلق عينيه وشعناه تتحركان في حركة منتظمة لتدع انفاسه تخرج على وتيرة واحده لاشك أنه اكتسب ذلك من طول عمله في مهنته وقلم الحبر فوق دفتر المذكرات الذي وضعه فوق كرشه المكورة.

لاشك ان تلك التعسيلات من النوم القصير كانت تضايق العازفين عدا كاترين التي تحولت بجمال عزفها عن ملاحظة اي شيء آخر كانت الحان روسيني" تنساب في موجات تنضح احاسيس عاطفية بدا احمرار خفيف يسري في خديها بينما افلتت خصلة شعر متمردة من المشط المشبك مال "ديفيد" للامام وهو يستمع وقد تقوس ظهره من شده اهتمامه بالموسيقى .

توقفت العازفة وادارت صفحة من النوتة ثم قدمت لحن الختام ارتفعت جفون "ميلون" ورفع راسه وهو يطلق شخيرا كان مسموعا على مدى خمسة صفوف حوله . كانت هذه هي المرة الأولى التي تحد فيها نفسها وقد قوطعت وسط العزف فافلتت منها بعض الانغام واوشكت ان يسقط منها القوس لولا انها رات "ديفيد" يلف برنامج الحفل على شكل عصاه و يضرب بها نافوخ الناقد الموسيقي الأصلع

فيما بعد وهما في طريق العودة في السيارة الجديدة لصديقها هنانه على حركته البارعة مع الناقد . ركن السيارة امام بيتها واطفا الأنوار قال لها:

- لقد كنت ممتازة ولا اذكر ابدا انني سمعت في حياتي شيئا في مثل هذه الروعة . كما لا اذكر ابدا انني رايت مثل هذه الفتنة في حياتي

عادة لم تكن المجاملات تؤثر فيها . ولكن مع "ديفيد" كان الأمر مختلفا . إنه مثل المداعبة . كانت تعلم نهاية تلك المداعبة تماما بحكم التجربة . إنها الطريق إلى أن يقبلها وهي خائفة من ذلك لدرجة الموت كم كان رائعا التقديم والانتظار. وظلت "كاترين" ساكنة وهي تتنفس بصعوبة وقد سادها التوتر. ما راته في عينيه لايحتاج إلى دليل إنه الحب ولكنها لم تعرف الحب من مدة طويلة حتى تتاكد انه فعلا الحب لم يسبق لـ"كاترين" طوال حياتهاان احست بانها مرغوبة ومعززة إلى هذه الدرجة اخرجت طرقة - على زجاج النافذة - "كاترين" من احلامها وابتعدت عن "ديفيد" كانت "اليزا" خارج الزجاج تهز راسها

- ماذا تفعلان بالداخل ؟ إنني لاستطيع أن أرى شيئا من خلال هذا الزجاج السميك

انزل "ديفيد" الزجاج وسالها

- هل لديك مشكلة يا "اليزا"؟

- ليس الآن . لقد تخلصت من ذلك المخلوق فوق السقف وكذلك من المتشرد في الفناء الخلفي ولكن مع كل هؤلاء المتشردين والساقطات

الذين يدورون ويلفون في هذا الحي فإنني لن اشعر بالمتعة وانا انتظر جالسة هنا وسط الليل .

- مخلوق فوق السقف؟ ومتشرد في الفناء الخلفي ؟

- اسمعها .. لا استطيع ان اظل هنا اثرثر .. لقد افسدت برنامجي المفضل في التليفزيون.

اخرجت "اليزا" مسدسا اليا ضخما ورفعته إلى مستوى زجاج السيارة، ثم ناولته لـ"نيفيد". اطلقت "كاترين" صرخة واغلقت عينيها صاح:

- ايتها اللعينة .. ماذا تفعلين بهذا ؟

- لقد وجدته عند بائع مخلفات منزلية قديمة، وكنت انوي ان استخدمه ضد طاهي دار العجائز ولكني في الحقيقة لم استقر على راي

- هل لديك ترخيص باستعمال هذا السلاح.

- ماذا ؟

فحص المسدس . كان تاريخه يرجع إلى الحرب العالمية الثانية وهو من النوع الذي يحدث فتحات بحجم البرتقالة في الجسد ثم إنه ليس سلاحا للسيدات . قال موجها الحديث إلى جارته في السيارة .

- لقد حان وقت الدخول .. وإذا استطعت في يوم ما ان اصل إلى نهاية هذه اللآلئ...

ردت "كاترين" وهي تفتح عينيها ثانية:

- يالك من شخص صفيق.

- لابد ان الأمر يتطلب منك ساعات للخروج من هذا الثوب .

- لن يستغرق الأمر سوى ثوان فهذه الأزرار التي على شكل اللؤلؤ هي مجرد منظر فقط وتحتها توجد سوستة "سحابة" والبلوزة والجيب عبارة عن قطعة واحدة. ولما كنت دائما متعجلة فإن هذا يسرع من عملية ارتداء الملابس . عبقرية. اليس كذلك؟

- إنني اوافقك على ذلك إنها عبقرية فذة .

ابتسمت الشابة . إنه كما قالت "اليزا": إن ذلك الرجل لديه شيء يدور في راسه بشانها . وقد سحرتها هذه الفكرة وإن اقلقتها في نفس الوقت.

دخل الثلاثة إلى المنزل وسحب "نيفيد" المراتين خلفه إلى المطبخ . جلست "اليزا" على مقعد مواجه للتليفزيون وبدات قصتها:

- لابد ان الساعة تجاوزت الخامسة والنصف، لأنّ الليل بدا يهبط وكنت على وشك ان اضع اشيائي على الأرض عندما سمعت صوت قدمين اعلى السقف قدمين خفيفين .. قدمي شخص يسير بحذر شديد ولكن انني حادتان واسمع كل شيء . صعدت إذن إلى الدور الثاني، وطبعا كان هناك شخص على وشك رفع الألواح التي فوق الفجوة قلت: لا تتحرك سنتيمترا واحدا وإلا حطمت راسك اللعين وعندما وجدت راسه فعلا قذرا اطلقت عليه رصاصة. قالت "كاترين" في ذهول :

- وهل اطلقت عليه رصاصة فعلا وقتلته؟

- لا على الإطلاق . لقد قفز للخلف . على اية حال انا لااطلق الرصاص ابدا لاقتل ، ومن الافضل ان اصوب إلى اجزاء الجسم لأن هذا يعجز الشخص ولا يقتله .. هذا على الأقل ما قيل لي .

عقد "نيفيد" ذراعيه على صدره وهو يحاول الا يبتسم:

- إن هذا يشعرني بالبرد والرجفة.

- بعد ذلك نظرت من النافذة الخلفية فاكتشفت شخصا اخر واقفا في الفناء وسرعان مارحل عندما راني.

- الم تطلقي عليه النار هو ايضا؟

في الحقيقة نعم. وقد ادى ذلك إلى إحداث ثقب على بعد عشرة سنتيمترات من حذائه . لقد كنت اقصد قدمه ولكني اخطاتها اتريان عندما يوجد الناس داخل فنائك يجب التحرك إلى هناك في خفة وطردهم دون إصابات. لأن الشرطة تكره ذلك.

- وذلك المخلوق الذ كان فوق السطح . كيف هرب ؟

- عن طريق القفز من سقف إلى سقف وانتهى الأمر إلى ان فقدت اثره

وهذه الامور تحدث غالبا. اليس هذا صحيحا يا كاترين؟

ردت عليها "كاترين"

- اريد قدحا من الشاي

- اعتقد ان ذلك له صلة بموضوع الهليوكوبتر إن هذين المخلوقين يبحثان عن شيء ما

قالت الشابة

- وما الذي جعلك تظنين ذلك؟

- لقد وجدت ان المشردين يملكان اشياء اكثر منك ولا شك انهما مخبولان لو حاولا سرقتك

ربما ظنا انني بعت اثاثي لشراء المخدرات لذا حاولا البحث عنها

ها ها "اتمزحين" انظري إلى نفسك! إنك ترتدين ملابس بطلة والت نيزمي "ماري بوبنز" والجميع يعلمون انها لاتتعاطى المخدرات على اية حال كيف عرفا بوجود الفجوة؟ هل تتصورين ان مدمني المخدرات يملكون طائرات تحت امرهم لهذه الامور المثيرة للغرابة؟

لا اقول لك إنهم يبحثون عن شيء ما هل فتشت جيدا في كل مكان عندما سقطت القنبلة على سطحك وهدمت سريرك؟ الم تجدي شيئا احمر

تبادلت المراتان النظرات وردت كاترين"

إنني حقا لم افتش عن شيء

وضع "ديفيد" ذراعه حول وسط الشابة وقال

احب ان تاتي معي لحظات المعذرة يا "اليزا"

حد راحتك وسانابع نهاية الإرسال ثم انام مبكرا فانا ضمن الفريق الصباحي في المقهى

قاد "ديفيد" عازفة "الفيولونسيل" العبقرية إلى بيته وهو يتساءل ماذا يمكن ان يحكيه لها عندما يصبحان بمفردهما كانت فكرة ان يتركها في منزلها هذا المساء تجعل العرق ينضح غزيرا على جبينه إن بيتها يجنب الكوارث طائرات تحطم سقفها ومتشردون فوق سطحه

إن هذا اكثر مما يحتمل قد يكون منطق "اليزا" معقولا. ولكن ربما تكون قد اخترعت كل ذلك وهو في هذه الحالة جنون مطبق

باختصار كان خارج المناقشة ان تمضي "كاترين" الليل في بيتها ولكن كيف يمنعها من ذلك؟ إنها ناضجة ولا يمكن ان يحبسها في دولاب! هل يعترف لها بحبه ويقول لها: إنه غارق لاننه؟ ان هذا سيكون اخر حل يلجا إليه مادامت قد ابدت استعدادها لرفض الزواج به ثم لماذا لاتحكم عقلها؟

اغلق "ديفيد" الباب البلوط الثقيل خلفهما

- اسمعي يا كاترين" بالنسبة لهذه الليلة

- يا إلهي! هل رايت هذا المسدس؟ إنه اضخم مسدس رايته في حياتي؟ وقد يكون لديها مسدسات اخرى تملا الحجرة. وربما ترسانة اسلحة بقنابل يدوية وغير ذلك مما لا اعرفه اللعنة عليها كان من الواجب ان اطلب منها خطابات توصية واسماء اشخاص موثوق بهم للرجوع إليهم بشانها وربما كان من الواجب ان اجري لها اختبارا نفسيا وتحليلا للبول وبصمات الاصابع

- يمكنك ان تعدي لها الشيك غدا

ردت "كاترين" وهي تذهب إلى المطبخ

- لا استطيع لقد صرفت كل المبلغ على الاثاث

- يمكنني ان اقرضك فلدي الكثير من النقود ولست ادري كيف اتصرف فيها

حدجته "كاترين" وفكرت ان بذلته لامد تساوي خمسمائة دولار ونقود سيارة "بورش" تساوي ثلاثين الف دولار وبعد ظهر اليوم سمح لاصدقائه ان يستهلكوا صندوقا كاملاً من الشراب المقوي والمسنور، إما انه نهب منكا او انه ابن مليونير ورث منه ثروة طائلة قالت

- لامد ان تصوير حفلات الزفاف يعطي ربحا كبيرا

رد "ديفيد" قبل ان يبتسم لها ابتسامة القطة التي تستعد للإمساك بالكناريا

- لا .. تقريبا لاشيء .. لقد كسبت في اليانصيب .

- آه .. ها ! ظريف جدا !

- ولكن هذا حقيقي

- لايربح احد ابدا في اليانصيب وهو مجرد حلم لايتحقق

دون ان تضحكي لقد ربحت خمسة ملايين دولاروهذه هي الصورة التذكارية .

نزع بروازا صغيرا من فوق الجدار وناوله لها

- ايها اللعين .. هل لديك تعويذة حظ؟

- لقد تركت عملي في التصوير فور علمي بالخبر ومن وقتها لم اعمل في اي وظيفة

- إذن ماذا تفعل طوال النهار؟

- اعمل كل ما يعجبني وليس شيئا محددا سوى عملي في الرسم إنني اقضي وقتا لاباس به في الرسم

اخذت فتحتا انف الشابة ترتجفان إنها على قدر ما تتذكر من وقت بعيد لم تتح لها فرصة وقت فراغ ، واي شخص كان لايعمل يساوي عندها الكسل إن منظر "ديفيد دود" - ونقنه غير الحليق مدة يومين وهو يقضي وقته في احتساء المشروبات - ليس صورة مشجعة ، ولكن على اية حال ليس من حقها ان تصدر حكما على طريقة حياته

فتحت درجا بطريقة عشوائية واخرجت منه سكينا وقطعت لنفسها قطعة من الفطيرة بالتوابل اعلن "ديفيد" وهو ينزع السكين من يدها

- إنني لا احب ان ارى السيدات وفي ايديهن اسلحة

- انت عدو المراة ؟

- لا على الإطلاق وإنما يقلقني ذلك باعتباري رجلا

- إذن بمناسبة السلاح ما رايك في المستاجرة؟ هل تعتقد انها مجنونة؟

- لست ادري ولكن لايسعدني ان اعرف ان لديها مسدسا ، ولست متاكدا انني استطيع هضم قصتها حول ذلك المخلوق الذي سمعت وقع

قدميه فوق السقف ولكن لو وضعنا ذلك جانبا فإنني احب "اليزا" .

قالت "كاترين" وهي تلعق اصابعها المغطاة بالكريمة ..

- إنني لا استطيع ان اصدق انهم اصابوا منزلي عن عمد ولكن نظريتها حول إمكان ان يسقطوا شيئا اخر و انهم اخطاوا هدفهم .. هذا هو ما يسترعي انتباهي. وقبل كل شيء فإن المنطقي ان تكون هناك كاميرا مثبتة فوق هذا الحامل .

اخرج "ديفيد" بعض المواد من الثلاجة الكهربائية من : خس ولحم بارد وطماطم وجبن رومي ورصها فوق البوفيه ، ثم اخرج بعد ذلك رغيفين من الخبز المستدير من كيس من الورق وفتحهما إلى جزءين .

- لقد تخلصت انا و"سميتي" من سريرك القديم ونظفنا حوله ولم نلاحظ شيئا غريبا.

- وفي الدور الثاني ؟

دس قطعة لحم في كل جزء من شعاري الرغيف ثم اضاف إلى كل شطر باقي المكونات .

- إننا لم ننظف إلا الدور الأرضي ، ولكن يبدو لي انه لو كان هناك شيء غريب فوق الأرض. لجذب انتباهنا .

- اللعنة ! إن هذه الحكاية يشيب لها الولدان . اليس كذلك ؟

اخذت الشابة تقضم في السندوتش. قال :

- أوه .. إن لدي إحساسا ان السندوتش يعجبك ام انا مخطئ؟

- إنه شيء غير عادي ومع ذلك فهو مثير .

- ربما كان ايضا خطيرا.

وهذه هي النتيجة التي انتهت إليها والتي جعلتها تتخذ قرارا معينا.

- الهذا السبب تطالب مني ان انام تحت سقف بيتك ؟

الن يزعجك هذا ؟

ان تنامي تحت سقف بيتي؟

- اعني ان انام هنا في حجرة الضيوف فوق الاريكة

(١)

- طبعا وهذا هو ما فهمته .

ابتسمت له ورد ابتسامتها بدوره وقالت :

- أرجو أن تفهم "اليزا" ان من عادتنا ان ننام في بيت واحد حتى لا نتضايق.

بدا خياله يشطح وقلبه تتسارع ضرباته ، إن فكرة أن تنام تحت سقف بيته تصيبه بالجنون وهو لا يستطيع ان يخفي مشاعره نحوها . إنه قادر على كتمان مشاعره مع الآخرين ولكن مع هذه الشابة فهو عاجز عن ذلك قال .

- فكرة حسنة ، وليس من المعقول ان تضايق "اليزا".

غصت "كاترين" بلقمة ووقفت قطعة السندوتش في حلقها . لم تكن واثقة بافكار "ديفيد" ولكن نظراته كانت واضحة ، ومعنى ابتسامته كان مفهوما .

- عندما امعن الفكر اتساءل : هل سأكون في امان معك ام الأفضل ان أكون في بيتي مع ما يحيطه من خطر.

- قد يكون عندك حق ولكن الأمر سيكون اكثر تسلية لو مكثت هنا ناكل الفشار ونقص حكايات عن الأشباح .

الفصل الرابع

جلسا في الصالون الصغير الملحق بحجرة "ديفيد" في الدور الأول فوق الأريكة المريحة المكسوة بالجلد، وامامهما مائدة عليها سلطانية من الفشار وقد ركزا نظراتهما على التليفزيون ولكن روح كل منهما في مكان آخر قالت الشابة بعد فترة:

- إنني أحب منزلك يا "ديفيد". إنه ليس مثل منزلي الذي يعطيني دائما شعورا بالخواء حتى وهو مملوء بالأثاث. عندما كنت و"انا تول" نعيش سويا كان أثاثنا عصريا تماما صورة من زواجنا وكان يعجب "اناتول" ولكني لم أحس معه بالارتياح ابدا. والآن وانا وحيدة يبدو لي المنزل - كما يقولون - متواضعا وخشنا وليس فيه اي لمحة من الود او الخيال . وربما لهذا السبب لم اقرر ان اعيد تأثيثه مرة ثانية. إنه منزل فاخر ، ولكن ليس بالنسبة لي ثم مع وجود هذه الفجوة في سقفه فقد اصبح شنيعا بلا ادنى شك.

نظرت "كاترين" إلى جدران الصالون المغطاة بالصورو الرفوف المليئة

www.elromancia.com

بالكتب حتى توشك ان تتحطم . وابتسمت .

- إنني أحس بالراحة عندك . لانك جعلت منه بيتا عائليا دافئا وميناء الأمان. إن منزلي ليس سوى مبنى ضخم وضيق يجذب الكوارث.

نهضت وقد اجتاحها قرار مفاجئ :

- سابيع هذه القذارة .. إنني لست في حاجة إلى كل هذه المساحة ولا اتمكن من دفع الإيجار الشهري بدون "اناتول" ، وقد اكتشفت بعد تعاملي مع "اليزا" انني لاأصلح للتاجير.

- واين ستسكنين إذا بعت منزلك؟

- ساجد غيره .. منزلا يناسبني افضل .

نظر "ديفيد" إليها بإعجاب . إن بداخلها قوة كامنة فهي تتميز بالتركيز والنظام والعاطفة الجياشة. وكلها صفات صحبتها منذ طفولتها ومنذ كانت موسيقية موهوبة ، وهو ما اعطاها قوة المقاومة والشعور بالكرامة والحيوية.

وثمن كل هذا دفعته في عدم استطاعتها صنع فطيرة ولا لعبت كرة او حضرت مباراة فيها ولم تدهن حمامها . إنها تعيش بمفردها في مسكن فارغ ، وقد يكون مثل وجودها الذي لاتحس به.

إنه يحبها بشدة ولكن كيف يمكنه ان يصارحها بحبه دون ان يثير سخريتها ؟ إنه امر مستحيل. مر اربع وعشرون ساعة منذ التقيا وكانت هذه المدة كافية لأن تصيبه بجنون حبها . إنه في سن الحادية والثلاثين. ومع ذلك هذه اول مرة يحس بالحب الحقيقي .

استخدم كل إرادته ليبعد نظراته عنها ، وكان واضحا ان "كاترين" في نفس حالته . قالت له :

- إن الجو اصبح حارا ، واعتقد من الأفضل ان نفتح نافذة. نهضت لتنفيذ فكرتها ثم مدت راسها خارج النافذة لتتنعش . قالت:

- احب ان اخبرك ان "اناتول" لم يكن يثير عندي مثل هذه المشاعر التي احسها الآن .. اللعنة! تعال. انظر !

جرى "ديفيد" نحو النافذة . كان ضوء كشاف بطارية يتجول في الفناء

المجاور وهو يمسح المنطقة في كل اتجاه . ثم اختفت حزمة الضوء ثم ظهر خيال داكن وهو يصعد فوق السور الشمالي ثم سطع الضوء في الفناء المجاور . سحب "ديفيد" الشابة إلى الخلف واغلق الستائر نظر كل منهما إلى الآخر وقد قطبا حواجبهما ثم اعلن "ديفيد"

- من الواضح ان "اليزا" شحنت همتها .

- يجب ان نستدعي الشرطة.

- لابد ان هذا المخلوق افلت من وقت طويل منذ وصولها ابقي هنا وساعود في الحال .

- "ديفيد" !

كان قد وصل إلى اسفل الدرج وعبر باب الدخول يا إلهي . جرت "كاترين" في اعقابه . وصلت الشارع بالفعل عندما ادركت انها ترتدي جوربا صوفيا فقط . كان "ديفيد" قد وصل إلى ركن مجموعة البيوت المتلاصقة وكان سيقطع الطريق على الشخص الذي يحمل كشاف بطارية عليها ان تسرع فلربما كان في حاجة إلى مساعدة عبرت الرصيف البارد بسبب الماء الذي بلل الجورب الصوفي إلى ان اكتشفت مكان رفيقها وهو منزو وراء السور المفتوح من اشجار العوسج (نبات شائك) . الخاص بـ"فرانك شنيدر" بدا المسكن المظلم خاليا سمعت صوت ضجة شخص يحاول ان يتسلق السور في سرية من الناحية الأخرى من الفناء ثم قفز إلى الأرض

رات "كاترين" للمرة الثانية حزمة الضوء وهي تتراقص بين الواح السور سمعت شخصا يجري بخطوات سريعة في الممر المغطى بالحصى الذي يطول الفناء الخلفي وبدا يهز الباب الحديدي الخلفي لـ"فرانك شنيدر" ومن الضجة التي سمعتها بدا وكان هناك مقاومة وصدرت لعنات وسباب من المتصارعين دارت عيونهما في حدقاتهما وصاحا في صوت واحد

- "اليزا"!

انضما إليها في اللحظة التي رفعت فيها مسدسها الشهير . ثم رفعت

الترباس ثم ركلت الباب بقدمها ركلة سينمائية . قفز رجل من الفتحة ودفع "اليزا" نحو "ديفيد" و"كاترين" وسمعا صوت طلقة نارية وظهرت سيارة عند الملف حيث قفز فيها الهارب وانطلقت كالصاروخ. امسك "ديفيد" بالسور وهو ينظر إلى فردة حذائه اليسرى الممزقة من طرفها وقال :

- لقد اصابتني رصاصة !

- إنها مصادفة . لقد انزلق إصبعي على الزناد عندما دفعني ذلك الدنيء إلى الخلف .

اخذت تفحص القدم المصابة وقالت :

- إنها لم تزد على إنها مسته . هل يمكن ان تحرك اصابعك؟

- اووه!

- إذن فالأمر ليس خطيرا .. صه .. إن الرجال لم يعودوا رجالا كالماضي .. حسنا لقد حان الوقت كي اعود لانام ثانية . امامي هامبورجر لابد من إعداده غدا صباحا في ساعة مبكرة .

***

فتح "ديفيد" إحدى عينيه ، ونظر إلى المنبه : إنها الساعة الخامسة والنصف صباحا وهناك شخص يعزف موسيقى بقوة .. اللعنة .. تخلص بصعوبة من الأغطية الملتفة حول جسمه بطريقة معقدة وخرج من السرير ثم سار على أطراف اصابعه ليبحث عن جينز في كومة الملابس الملقاة على السجادة كان الضوء الساطع في الدهليز شديدا لدرجة انه طرف بعينيه. هبط السلم بخطوات متثاقلة وتحسس طريقه إلى المطبخ ليكتشف هناك "كاترين" جالسة على مقعد له مسند مستقيم و آلة الفيولونسيل بين ساقيها وتسجيل كاسيت عند قدميها .

رفعت عينيها واحست بقلبها يسرع النبض . لقد كان "اناتول" لا يستيقظ في الصباح وشعره القصير الأشقر كان دائما ممشطا وبيجامته وكانها جاءت لتوها من محل المكواة ونقنه دائما حليق وناعم ليلاً ونهاراً . اما "ديفيد" فقد بدا عليه مظهر الحيوان البري بشعره

الذي يبدو انه خارج لتوه من معركة وتنبعث منه الرجولة .. بدت عيناه الناعستان في ضيق وكانت كتفاه عريضتين وبطنه ضامرا .

قال بصوت اجش :

- اللعنة عليك يا "كاترين" ما الذي تملكك؟ نحن في عز الليل .. لماذا لاتنامين؟

ابتلعت ريقها قبل ان تجيب :

- إنني لا انام إلى وقت متاخر إلا ايام الأحاد ونحن الآن يوم الاثنين. ويوم الاثنين انهض في الخامسة واقوم بالتمرينات إلى السابعة ثم ...

- لا اريد ان اعرف .

ضغط "ديفيد" على زر توقيف المسجل وامسك بالقوس ليضعه على المائدة ثم اخذ منها "الفيولونسيل" برقة . ثم بحركة مفاجئة انهضها على قدميها. صاحت :

- ماذا تفعل ؟

- أحاول ان اجد وسيلة للنوم.

حملها بين ذراعيه ثم ذهب إلى غرفة النوم والقى بها فوق الفراش ثم ثبتها عليه بيديه وقال :

- حاولي الآن ان تنامي .. تصبحين على خير .

- اصبح على خير ؟ هل انت مجنون ؟

- لا .. لقد ربحت اليانصيب وارفض ان اصحو في الخامسة صباحا لاي سبب من الأسباب وإلا ...

في هذه اللحظة طرقت سقاطة الباب الأمامي النحاسية طرقا عنيفا جلست الشابة نصف جلسة مستندة على كوعها وقالت :

- هل تنتظر احدا على الإفطار ؟

رد عليها بزمجرة عدوانية . ذهب "ديفيد" بسرعة ونظر من النافذة . وقال

- إنه يشبه النجار.

- نجار ؟ إنني محتاجة إليه .. لا تدعه يذهب.

نهبت درجات السلم وسرعان ما كانت امام باب المدخل الأمامي قبل ان يستطيع هو ان يستدير من مكانه . فكت سلسلة الأمان وادارت الأكرة وفتحت :

- نعم ؟

كان الفتى الضخم له عنق ثور وذراعا القرصان "بوب اي" ولحية حمراء واسفل وسطه علق حزاما عريضا به جيوب كثيرة مليئة بالعدد.

- صباح الخير .. انا ابحث عن السيدة التي تسكن في البيت المجاور.. الا يمكن ان تعرفي اين هي ؟

- إنها انا !

- انا "مارك بيمان" واختي متزوجة بشقيق "نانسي بيرك".

تقدم "ديفيد" ببطء ومد يده للرجل وقال :

- نانسي بيرك" هي زوجة "هوارد" .

- نعم .. لقد اتصل بي "هوارد" امس مساء ليخبرني ان السيدة لديها فجوة كبيرة في سقفها وانه يجب إصلاحه في الحال وحضرت من اجل ذلك.

- ولكن .. الساعة الآن الخامسة صباحا .

- نعم .. إنني دائما ابدا يوم عملي في الخامسة والنصف صباحا وبذلك انتهي من عملي في الثالثة بعد الظهر وهي هكذا ساعات العمل في المباني .

بعد ساعتين كان "مارك" منهمكا في العمل فوق السطوح وكان يعالج الفجوة مع احد زملائه . ارتدت "كاترين" "تي شيرت" رماديا وجينزا نظيفا ووضعت قدميها في حذاء مريح . مررت اصابعها في شعرها المبلل ثم طقطقت عُقل اصابعها إنها الساعة السابعة والنصف ولم تعزف بعد على الفيولونسيل.

بسرعة ذهبت لتحضره من منزل "ديفيد" الذي فتح لها الباب وفي يده قدح من القهوة . قالت الشابة بينما رائحة القهوة الملتهبة ملأت انفها قالت :

- صباح الخير .. لقد تركت الفيولونسيل هنا و...

حسنا .. لا بد ان اعمل .

- الم تكتفي بعد من العمل ؟

- اكتفي من العمل ؟ طبعا لا .

اخذ "ديفيد" يرتشف القهوة وهو ينظر إليها من فوق حافة القدح ، وسرعان ماضايقها هذا الفحص .

تساءلت : ماذا يعنيه إن كنت قد اكتفيت من العمل ام لا ؟ إنه عملها هي ، على الاقل لديها عمل . حدجته بنظرة صاروخية وهي تسال نفسها : لماذا . هذا الغضب المفاجئ . إنه سؤال بسيط من ذلك الرجل وها هي على استعداد ان توجه له لكمة مباشرة في انفه . ربما كان السبب رائحة القهوة التي جعلتها عصبية وكل شيء سيصبح عاديا إذا احتست القهوة . دفعها "ديفيد" ناحية المطبخ وسالها :

- هل تناولت فطورك؟

- طبعا نعم " إنها السابعة والنصف .

- وماذا اكلت ؟

بدا تعبير مهموم على وجه "كاترين" اللعنة لقد اخذها على حين غرة. تظاهرت بانها تبحث عن شيء في كيس يدها وهمهمت بضع كلمات غير مفهومة .

- ماذا ؟

- اوه ! لقد قلت : إنني اكلت بسكويتا.

رفعت عينيها إلى السماء

- وهل هذا كل فطورك؟

- لقد كان بسكويتا من دقيق الشوفان وهو صحي جدا ويجب على الناس جميعا ان ياكلوه في الصباح .

كان إلى جانب البسكويت هناك اصابع شوكولاتة وكريمة تزين القطير نسمة جدا ، ولكن لم يكن هناك ما يدعو لان تخبره بالتفاصيل

- كلها نشويات . انت في حاجة إلى عصير فواكه ولبن وحبوب مفيدة

كاملة . ليس بالبسكويت في الإفطار يمكنك ان تصبحي قوية وكبيرة.

- سمعا وطاعة يا امي .

قطع "ديفيد" برتقالة إلى نصفين وعصرها.

- لقد كنت مثلك دائما مشغولا ومتحركا وهو امرضار بالجسم.. خذي هذا إنه فيتامين "ج".

تجاهلت "كاترين" طلبه وفتح هو دولاب المطبخ بحثا عن فنجان ، قالت :

- ليس لدي وقت ..

- خذي هذا الفنجان . ولكنك لن تحصلي على القهوة إلا إذا جلست وتناولت فطورك.

- هل سيستغرق هذا وقتا طويلا؟

- الم تحاولي مرة ممارسة رياضة اليوجا ؟ اين الاسترخاء ؟

- وانت الم تواجه كسر انفك لمنعك امراة فقيرة من قهوة الصباح؟

اخيرا ملا لها "ديفيد" قدح القهوة واشار إلى مقعد .

- اجلسي !

- دقيقة واحدة.

- بل سبع دقائق .. خمس لإعداد الحبوب واثنتان كي تاكليها .

- انت طيب جدا معي .

- اعرف ذلك . لقد اسعدك الحظ ان تكوني جارة لشخص طيب مثلي. انا في الحقيقة حكاية، غني وقادر على إعداد الفطور وانا حبوب ."

- هل هذه مغازلة؟

- لا على الإطلاق . في اخر مرة طلبت منك الزواج اجبت باشياء غير لطيفة على الإطلاق، وعليه فإنني اترك الغزل لك كي تبدئي

يمكنك الانتظار

***

تشقق الباركيه تحت قدمي "مارك" وهو يسحب الالواح المكسورة ويسمر الواحاً جديدة بدلا منها وفي مكان ما من الدور الاول كان راديو

ترانزستور يرسل موسيقى الكانزي الشعبية بينما تصاعدت سحابة من نشارة الخشب امام النافذة . خبطت "كاترين" الارض بقدمها وعضت على شفتها. إنه منتصف النهار ولم تفلح في عزف ثلاثة الحان . إن النجارين دائما يزعجونها بالاسئلة ويلزمهم مشروبات طازجة وسنجق حار واستخدام الحمام بصفة مستمرة ، وكذلك التليفون لطلب مواد ناقصة . قالت في نفسها: "ركزي يا "كاترين" من فضلك. ثم اليس من المفروض ان تعزف المحترفة تحت اي ظرف ؟ حسنا ستحاول من جديد.

دخل "مارك" المطبخ وقال :

- عزف رائع !

كزت على اسنانها وخفضت قوسها . استمر :

- إنني امر فقط فلا تزعجي نفسك.

مر من المطبخ إلى الباب الخلفي للمنزل .اخذ نفساً عميقاً ثم رفعت القوس لمكانه ثانية .

ظهر "مارك" امامها مرة اخرى وابتسم لها ابتسامة طويلة:

- انت لاتلعبين كثيرا .. اليس كذلك ؟ إنني انتظرمن مدة ان يخرج لحن من هذه الآلة . ولكني الاحظ انك لاتفعلين شيئا سوى الجلوس والكز على اسنانك . لايجب ان تفعلي ذلك فهو ضار بالعضلات في الوجه وسينتهي الأمر بك إلى الإصابة بصداع مؤلم.

تركت "كاترين" راسها يسقط إلى الأمام .. إن الامر لن يفلح . نقلت متعلقاتها إلى الصالون وجلست امام النافذة . كانت اغاني الترانزستور تصك اذنيها بعنف ولكنها على الاقل ليست في طريق العمال . إن هذه الحجرة الأمامية لاشك انها مناسبة . ومن خلال النوافذ الكلاسيكية المرتفعة تسللت اشعة الشمس الحادة ؛ شمس منتصف النهار واضاءت الأرضية القاتمة. وعلى الجانب الآخرمن الطريق كانت "إميلي بيرسون" تحك سقاطة بابها النحاسية لتلمعها. كانت باقة من كيزان الذرة - مربوطة بشريط برتقالي - معلقة على جانب المنزل .. ووجدت "كاترين" نفسها رغم إرادتها تراقب جارتها في

البيت المقابل . لهذا تعمل "إميلي" كل الوقت في المطبخ . يوجد في هذه النوافذ الضخمة ما يمنع من المراقبة لما يحدث في الخارج . ولم يكن هناك طفل واحد في شارع "ني" . إن زينات الكريسماس أو الأعياد الأخرى كانت دائما تخص البالغين .

من الواضح أن البيوت من الضيق بحيث لاتصلح للعائلات كبيرة العدد وغالية الأجر لتصلح لأسرفي بداية حياتها . صدمها سؤال مفاجئ لم يسبق لها أن طرحته على نفسها وهو : اين هم هؤلاء الأطفال ؟ هل تم تصديرهم جميعا إلى الضواحي ؟

ام إلى حدائق فرجينيا" الكبرى ؟ أو ربما يقطنون أحياء شمال الغرب من "واشنطن" في منازل واسعة؟

رأتها "إميلي بيرسون" من النافذة ولوحت لها بيدها . كانت من سن "كاترين" وربما اكبر قليلا، وهي تعمل محامية . ردت على تحيتها وهي تتساءل : هل تريد "إميلي" أن تنجب اطفالا؟ يبدو انها تكرس حياتها لتزيين الأبواب والنوافذ وجعلهانظيفة . إنها تصلح اماً رائعة من هذه الناحية على الأقل

كانت الشابة في موقع المراقبة عندما رأت " اليزا" تصل وتصعد السلم وتعلق معطفها فوق شماعة في المدخل ثم تضع كيس ورق ابيض فوق ركبتي المالكة وقالت لها

- لقد انتهيت من العمل واحضرت لك "هامبورجر".

قالت "كاترين" معلقة

- إن كل الناس يريدون تغذيتي اليوم.

- لانك نحيفة للغاية فإن الجميع يشفقون عليك .

ابتسمت "كاترين" واخرجت العبوة وقالت قبل ان تقضم قطعة الهامبورجر الضخمة والدسمة والمغطاة بشرائح الطماطم والجبن والخس .

- اوه . إنها تبدو لذيذة.

- قولي لي .. يجب ان نتحدث.

كان الكاتشب يلمع فوق سطح الهامبورجر ويلوث اصابع الشابة

التي اخذت تلعقها مما جعل "اليزا" تمتعض وتقول:

- اعلم انه ليس شاني. ولكن هل تنامين دائما عند جارك؟

- ليس دائما .

- حسنا .. هناك بعض الأمور يجب أن تعرفيها عنه. إنه ياتي المقهى من الصباح حتى المساء وهو لا يرتدي ابدابذلة ، وفكرت في كل هذا واعتقد انه جاسوس.

- جاسوس ؟ لماذا؟

- كل الدلائل تشير إلى ذلك . هل لاحظت اي جزء مترهل وسمين عنه ؟ لايوجد فإنه في حالة صحية ممتازة وهو مستعد دائما للتصرف وهناك امر آخر: من اين تعتقدين انه يحصل على النقود؟ سيارة فاخرة وبيت مرموق.

- وهل يحصل الجواسيس على مال وفير ؟

- إن "جيمس بوند" لايشكو الفقر.

وافقتها "كاترين" بين قضمتين:

- فعلا.

- وهذا ايضا يفسر موضوع "الهليوكوبتر" لقد عرفت من البداية أن الموضوع ليس مصادفة . إنهم يراقبون منزل "ديفيد" ولا تنسي اننا هنا في "واشنطن" اي في المركز الرئيسي للجواسيس.

- آسفة لان اخيب ظنك ، ولكنه ليس جاسوسافهو مصور فوتوغرافي لا اكثر ولا اقل ، ثم إنه كسب جائزة اليانصيب

- كلام فارغ . لا احد يكسب في اليانصيب

- ولكن هذا حقيقي . لقد رايته وهو يمسك بتذكرته الفائزة ويتسلم جائزته .. شكرا على الهامبورجر إنه لذيذ

ذهب "مارك" بيمان "الدرج لينسل إلى المطبخ ويعلن:

- سيداتي !

شرحت "كاترين لـ"اليزا":

-إنه النجار الذي يصلح السقف .

- لا داعي لكل هذا العنف يا سيد "عضلات" ثم بالنسبة لموسيقاك الباكية فاخشى انني لن اتحملها طويلا لانها ساعة راحتي وتعسيلتي وهي مقدسة..

الفصل الخامس

نظرت "كاترين" إلى ساعتها وسط العتمة . إنها السادسة . لقد تاخرت و"واشنطن" مزحمة كالعادة.

طقطقت عقلات اصابعها واخذت تطرق بعصبية على عجلة القيادة . اقل من كيلو مترين يفصلانها عن بيتها ولكن بالمعدل الذي تسير به فإنها تعتبر في نهاية العالم.

اللعنة ! إذا استمرت حركة المرور إلى هذه الدرجة خلال عشر دقائق فإنها ستترك سيارتها وسط الشارع وتعود إلى بيتها سيرا على القدمين ولتذهب هذه الماكينة إلى الجحيم .فليقطروها إلى مقبرة السيارات او إلى اي مكان يحبون ! بعد ان بدات تتحدث في غضب وبصوت عال . انهارت الشابة في مقعدها .

إنها حقا غلطتها بسبب رغبتها في إعطاء المزيد من الدروس الخاصة حتى فاض الكيل بها . إنها تجد نفسها كل يوم اثنين محصورة وسط هذه الفوضى ؛ لأن تلك الدروس تستمر وقتا طويلا. يجب عليها أن تلغي درسا منها . ولكن ايها تلغيه. وهي تحب كل تلاميذها ؟ ثم إنها

لاتستطيع الاستغناء عن نقودها ؛ ومنذ رحيل "اناتول" وتكاليف المنزل تلتهم ميزانيتها . من الغد قررت ان تهتم بالبحث عن وكيل عقارات.

في السادسة والنصف وصلت "كاترين" امام منزلها وخرجت من سيارتها وهي محملة كالعادة باكياس التموين . ثم اغلقت البوابة الامامية بقوة وهي تتجه إلى درج الباب الامامي للبيت، وعندما وصلت خرج "ديفيد" من ظل الباب مما جعلها تطلق صيحة رعب واستندت على إطار الباب لتسترد انفاسها .

- أسف لم اكن ارغب ان اخيفك .

- هذه ليست غلطتك لأنني لم انتبه . لقد فاجاتني.

خلصها من حمولتها وفتح الباب ... وهو يقول :

- لقد رحل النجار ومساعدوه الثلاثة في الساعة الثالثة وسيعودون غدا لإنهاء العمل. و"اليزا" ذهبت تلعب البولو وامك اتصلت تليفونيا وسالتني عما افعله عندك .

رفعت الشابة عينيها إلى السماء فقال :

- شرحت لها انني اراقب العمال ، ولكني لا اظن انها صدقتني؛ ولذلك دعوتها على العشاء يوم السبت .

- اوه .. لا .. كيف استطعت ان تفعل شيئاكهذا ؟ إن امي تتوقع وجبة محترمة ومائدة عليها مفرش . واخر مرة جاءت إلى هنا للعشاء رحلت وعندها صداع استمر مدة ثلاثة ايام.

اضاءت "كاترين" الأنوار وتاملت الصالون الخالي وهي تتاوه:

- إن امي ستاتي وهي ترتدي جو ربا حريريا وحذاء ذا كعب عال وستنتظر ان نقدم لها مقعدا لتجلس عليه وليس عندي مقعد واحد والذي سيتوج كل هذا انها ستحضر معها ابي .

بدا "ديفيد" في إخراج المشتريات المكونة من جزر ولبن وزبادي بالفراولة وجبن ووضع الكل فوق البوفيه ثم قال معلقا :

- يبدو ان والديك يضعانك في حالة عصبية .

- إنهما شخصان متعلقان جدا بالتقاليد وهما يعيشان في منزل به

الثالث.

- إذا كان هذا ما يزعجك فلا داعي للقلق فقد دعوتهما للعشاء عندي وليس عندك. وقلت : إن هذا ربما سيطمئنهما على موضوعي .

- يا إله السموات!

لم يشعر بعدم الرضا عندما كان يضايقها من وقت لآخر وهو ما يجعلها اكثر خضوعا ويقلل من تمردها . إن عالم موسيقاها شيء رائع ولكنه يحرم الشابة من وجود اشياء معينة ، وعندما راى الزبادي بالفراولة عرف ان هذا هو عشاؤها .

- لدي شرائح ستيك في البيت .. هل هذا يغريك؟

- لا أستطيع .. إنني اعمل مع اوركسترا الشباب مساء الاثنين، ومقر ر ان اكون هناك في السابعة والمكان بعيد.

نظرت إلى ساعتها في ياس . سالها:

- هل ستتاخرين ؟

- لا

وضعت رزمة من النوتات الموسيقية في حقيبتها وارتدت "سويت شيرت" . وقالت :

- لابد أن اشتري معطفا .. ربما يوم السبت.

كانت العبارات الاخيرة توجهها لنفسها . كان فكر "كاترين" يسبح مع برنامج الليلة الموسيقي حيث ستقدم "باستورال" لـ"بيتهوفن" .. فجاة احست بالدوار ووجدت نفسها ملقاة بين ذراعي "ديفيد" القويتين وقد تقطعت انفاسها . التقت عيونهما جزءا من الثانية ولكنها استطاعت ان تقرا الغضب والتصميم في عيني الرجل. تركها وقال:

- طبعا أستطيع ان ابقى في المنزل ..

وضع حقيبة يدها فوق كتفها وذهب ليفتح الباب

- لايجب بصفة خاصة ان امنعك من واجباتك وإنما فقط انبهك إلى ضرورة استخدام عقلك

***

في الساعة الثانية صباحا ايقظ ضجيج طائرة هليوكوبتر ملح "ديفيد" عندما سمعها تطير فوق صف من المنازل منها منزله للمرة الثالثة. نهض واتجه على أطراف اصابعه في الظلام ناحية النافذة كانت انوار الطائرة المتقطعة قد تركزت لحظات في السماء ثم عادت إلى شارع "ني" وثبتت في مكانها لحظات طويلة حيث اضاءت اسقف المنازل والأفنية ثم رحلت نهائيا . كانت ضجة الأجنحة قد بدات تختفي عن بعد ولكن "ديفيد" ظل عند النافذة. سمعت "كاترين" ايضا الضجة ونهضت مثله لترى من خلال نافذتها وقلدته دون أن تدري فظلت بجوار النافذة بعد رحيل الطائرة وهي تتامل نهر الطريق في ضوء القمر . كان كل شيء مظلما .. مظلما جدا . إنه ديكور حضري ساكن عبارة عن ظلال من القيشاني والقرميد واشجار عارية من الأوراق ونجيل اخضر كالح. و البقع الملونة الوحيدة كانت مختفية وسط ظلام الليل . وكان فناؤها الأمامي الصغير مغطى بالاعشاب الضارة . كانت تود دائما ان تزرعه وتهذبه ولكن الوقت كان يسرقها . على اية حال كانت هناك شجرتا "الغار" والأزالية" بزهورهما ولكن منذ ان دهستهما هي و"اليزا" لم يعد هناك أمل في ان تعيشا حتى انتهاء الشتاء . يا للشجرة الأزالية العجوز المسكينة ! اخذت تتطلع إليها من اعلى . عكست قطعة من البلاستيك محشورة وسط اغصانها ضوء القمر . اخذت تتطلع إليها بطريقة الية قبل ان تستدير بعيدا عن النافذة وتعود إلى سريرها .

ضربت الوسادة بقبضتها لتعيدها إلى الشكل المنتظم . امسكت بحافة السرير واخذت ترتجف ثم صاحت :

- يا إلهي !

اعتقد "ديفيد" أن ما يسمعه هو خيال . إن تلك التي ظهرت كالشبح في قميص نومها الابيض وقد طارت فوق السلم تشبه "كاترين" ثم هبطت السلم مرة اخرى وقد ماها حافيتان وسط النجيل وسارت بجوار السور من اشجار العوسج (نبات شوكي).

التي تحيط بعتبة بابها ثم تقف مسمرة امام شجرة "الأزالية" وتمسك

بشيء ما موجود بين أوراقها ثم انتصبت ونظرت مباشرة ناحيته وكأنها احست بان عدسته مركزتان عليها . كانت تمسك كاميرا فيديو في يديها

بعد خمس دقائق كانت الشابة جالسة على الاريكة في بيت "ديفيد" وهي تحتسي شوكولاتة ساخنة وملتفة ببطانية بيضاء . بينما يخرج "ديفيد" شريط الفيديو الذي بداخل الكاميرا، كانت الكاميرا محطمة . وضع ذراعه حول كتفي الشابة ثم قام بتشغيل الفيديو حيث ظهر رقم ٦ فوق شاشة التليفزيون ومرت عدة ثوان دون إرسال ثم منظر جوي من شارع "تي".

ثم تركز الكاميرا على الفناء الخلفي لمنزل "كاترين" وسقفها والشارع الخالي وفي النهاية على بيت في نهاية الشارع وتكرر ذلك ثلاث مرات. وفي الدورة الرابعة ظهر صوت من بين ضجيج الطائرة يقول :

- التقط صورة السيارة الزرقاء .

اهتزت الصورة فترة ثم ثبتت على السيارة التي خرج منها رجل ثم رفع عينيه إلى اعلى نحو الطائرة ثم عاد إلى العربة . عاد اهتزاز الصورة مرة أخرى بدرجة كبيرة ثم اختفى المنظر وعاد الصوت

لقد فقدت إحدى الدعامات . انظر إن كان باستطاعتي ...

امتلأت الشاشة بزرقة السماء ثم ساد الظلام التام . علق "ديفيد":

- في الحقيقة: إن الدعامة سقطت.

سألته

- هل لديك فكرة عم يتحدث ؟

- لا . ولكني اعرف . اين أحصل على الرد.

اخذ التليفون اللاسلكي من فوق المائدة وطلب رقما .

- "هوارد" ؟ انا "ديفيد" .. لدي شريطك.

سألته في دهشة .

- "هوارد بيرك" ؟ كيف عرفت ؟

- لقد تعرفت على صوته أو على الأقل هذا ما اعتقده. لقد تركت

رسالة على جهاز تلقي المكالمات وليس امامنا إلا ان ننتظر حتى يستيقظ.

- إن هذا غريب ! لماذا يتسلى "بيرك" بتصوير هذا المنزل ؟

- في رايي: إنها مجرد مصادفة وربما كان بكل بساطة منزلك يقع في خط التصوير . ماذا تعرفين عن سكان البيت المجاور لك من الناحية الأخرى مما يظهره شريط الفيديو؟

- لا شيء كثير .. إنهم مستاجرون وقد انتقلوا إلى هنا في نفس الوقت الذي جئت انت فيه و..

لم تستطع الشابة ان تكتم تثاؤبها . سالها "ديفيد" :

- مرهقة ؟!

- إنني لا استطيع حتى الوقوف.

بعد أن تنهد "ديفيد" رفعها ونقلها إلى السرير.

- هل انت حقا متعبة جدا؟

ابتسما . كم تمنت ان تعيش مع هذا الرجل باستمرار فبعد سنتين من الخطوبة وسنة زواج بـ "اناتول" لم تحس في حياتها بالالفة والود كما تحس مع "ديفيد". إنه يوحي بالثقة وهو مرح وذكي .

تثاءبت مرة اخرى. قال وهو ممتعض :

- وحسنا - هيا نامي ! تصبحين على خير.

***

كان النهار ساطعا عندما استيقظت "كاترين" واستغرقت وقتا حتى تستقر على راي.

سمعت صوت مطارق عن بعد .. إنه النجار دون شك. سمعت "ديفيد" يسب ويلعن ويقول :

- إنه "هوارد بيرك" بالتاكيد . سانزل لافتح له الباب.

اخذ شريط الفيديو من فوق الدولاب وخرج من الحجرة بعد ان ابتسم لها ابتسامة سعيدة .

عندما فتح "ديفيد" الباب اخيرا كان "هوارد بيرك" قد انتهى من

طقطقة اصابعه . حيا "ديفيد" بابتسامة ثم دس يديه في جيبي بنطلونه.

وقال :

- لقد تلقيت الرسالة.

- ادخل .. اتشرب قهوة؟

- نعم. انا محتاج إليها .

قاده "ديفيد" إلى المطبخ وشغل الغلاية ثم ساله:

- ماذا حدث إذن ؟

- لا شيء خطير .. هل هذه كاميرتي؟

كان قد القى بجسده فوق المقعد ذي المساند .

- بالضبط .

- يبدو انها في حالة سيئة .

- نعم .

- أوه ! كيف فكرت في أن تطلبني ؟

- لقد سجلت صوتك وانت تقوم بالتصوير ، وانتهى بي الأمر أن تعرفت عليه. وبالمناسبة ماذاعلموك في مدرسة الجواسيس ؟ الا تشاهدابدا التليفزيون؟

ضحك الرجل الآخر ثم رد :

- لست جاسوسا ولكني عميل سري وأستطيع ان اقول لك ذلك طالما اطلعت على الفيلم ،إننا نراقب هذا المنزل الموجود على الجانب الآخر من الشارع من ثلاثة اشهر . ولقد اختلطت من قبل بفريقك "كاميكيز" حتى استطيع ان اكون في الجوار .

وضع "ديفيد" الماء والبن المطحون في جهاز القهوة الكهربي ثم وضع الخبز المحمص في طبق مع قطع من الجبن .

- اتعتقد انهم يبحثون عن مصنع كيمياوي في البدروم؟

- لست في وضع يسمح لي بان اقول لك شيئا .

رد "ديفيد":

- فهمت . سترى ان الفيلم ليس ذا قيمة كبيرة وهو يهتز كثيرا.

قال "هوارد":

- هل تعرفت على وجه ؟

- فعلا . وجه ينظر مباشرة في عدسة الكاميرا.

- حسنا إذن الأمر يستحق ما بذل فيه من عناء.

ظهرت "كاترين" في المطبخ وسالته :

- وهل يستحق الأمر أن يحدث ثقبا في سقفك؟

- أسف .. لم يكن ذلك متوقعا .

- إلى اي حد ؟ لقد كان من الممكن ان اقتل . ولماذا حاولت الدخول إلى منزلي ؟

- إننا لم نرغب في دخوله وإنما كنا نفتش فوق السطح وقد بدا ان المنزل خاو. لقد رفعت جزءا من السقيفة للبحث عن قرينة اثناء وقوع الكاميرا وفوجئت بامراة مخبولة وعجوز أوشكت أن تحطم جمجمتي

وضع "ديفيد" الجبن مع الزبد فوق الخبز المحمص ولم يعلق بشيء . ولكنه احس من ابتسامة "كاترين" انها تشاركه التفكير . استمر "هوارد":

- ثم اطلقت بعد ذلك النار على زميلي . هل لديها تصريح باستخدام هذا المدفع البازوكا؟

قال "ديفيد" وهو يقدم له القهوة:

- طبعا عندها .. اتحب قطعة اخرى من الخبز؟

- من الافضل الا اخذ اخرى .. لقد اجبرتني زوجتي على اتباع نظام غذائي .

- إذن عدتم مرة اخرى بالهليوكوبتر الليلة؟

- نعم .. لقد كنا في هذه الناحية في مهمة اخرى وخطر ببالنا ان نلقي نظرة اخيرة هنا . وهناك اشياء تظهر بصورة أوضح تحت ضوء الكشافات عن ضوء النهار . ولكن المحاولة لم تفلح.

تدخلت الشابة:

- لقد سقطت الكاميرا فوق شجرة السرو الخاصة بي وقد رايتها من

نافذة حجرتي .

نهض "هوارد" من أما ائدة ثم اخذ الفيلم.

- إنني مندهش ان المطر لم يفسده .. وماذا عن الكاميرا؟

ناوله "ديفيد" صندوقا يحتوي على بقايا الكاميرا.

- سنلتقي في ملعب كرة السلة يوم الخميس ؟

- نعم وانت ؟

- محتمل .

اصطحب "ديفيد" رفيقه ودون ان يلح عليه. التهم الاخير نصف قطعة الخبز.

عند عودته للمطبخ وجد ان "كاترين" قد ابتلعت قهوتها وتقوم بغسيل قدحها . هز راسه:

- إن ما اراه لا يطمئنني ابدا .

- لقد تاخرت .

- كيف يمكن ان يكون المرء متاخرا في السابعة والنصف؟

- عندي درس في الثامنة وبروفة في دار المسنين في "ارلنجتون"، ولدي تلاميذ من الثالثة للخامسة. وهذا يعني انني ساكون منهمكة حتى ذقني ، ومع ذلك فإنني في حاجة إلي ان اكون في مركز "كنيدي" في الثامنة هذا المساء...

- لقد فكرت ان اصحبك للعشاء في مكان ما .

- ارجو المعذرة فلن يكون لدي وقت للعشاء .

- هل اراك بعد الحفل هذا المساء؟

- نعم وسيكون رائعا . يجب ان احضر حفل استقبال بعد الحفل الموسيقي مباشرة وساعود حوالي منتصف الليل .

- انتبهي وانت تقودين السيارة .. إنك تسيرين بسرعة .

- إن النهار قصير جدا ويلزمني ساعتان إضافيتان.

الفصل السادس

وصلت "كيت" بسيارتها إلى باب الدخول وهي تسب وتلعن عندما رفض مفتاحها الدخول في فتحة القفل . ظلت تحاول وهي مغمضة العينين وتعد في سرها حتى رقم عشرة ، واحست بالارتياح عندما انفتح الباب اخيرا.

لقد وقعت حادثة دون إصابات خطيرة في شارع "كونستتيوشن" ادت إلى تعطل المرور فترة . كان من الواضح ان "اليزا" موجودة . رات الشابة انها الساعة السابعة وعشر دقائق عندما نظرت في ساعة يدها. ياللهول! وضعت كل الاكياس فوق الأرض وجرت إلى الدور الأول . بعد ان اضاءت كل مفاتيح النور.

لم تكن هناك كهرباء ، نظرت من نافذة حجرتها فوجدت جميع المنازل الأخرى مضاءة . لا بد ان السبب هو قاطع التيار الآلي . خرجت وهي تتحسس طريقها واخرجت بطارية جيب من درج الكومودينو ، ثم هبطت الدرج متجهة إلى القبو عندما وضعت يدها على اكرة الباب استرعى انتباهها قطعة من الورق الاصفر مثبتة على مستوى عينيها

www.elromancia.com

مكتوب فيها :

يا كاترين! لقد قطع "بيمان"- النجار- الكهرباء مصادفة وسيمر الكهربائي في الصباح "ديفيد".

لم يبق سوى هذا ! التقطت الشابة طبقا من حوض المطبخ والقت به على البلاط في غضب ؛ ولكن هذا لم يكف ليخفف عنها.

والآن ماذا تبقى لها كحل ؟ من المستحيل ان تاخذ دشا وسط الظلام . صعدت كالصاروخ إلى حجرتها وبدلت ملابسها الداخلية وحذاءها وعلبة ادوات الزينة في حقيبتها واخرجت معطفها الأسود القصير ورداء من القطيفة السوداء من دولاب الملابس .

لم يرد احد على طرقاتها فوق باب "ديفيد" فدخلت من نفسها لتجده فوق ارضية المطبخ وهو يلعب بقطار اطفال ! كان قد ركب مجموعة من القضبان الحديدية وانفاقا وجبالا وتقاطعات طرق وانوار متقطعة رفع عينيه عندما دخلت قدما "كاترين" دائرة الرؤية فقال :

- اتتصورين هذا ؟ إنه غير معقول ! لقد استطعت ان اجعله يصدر ضجيج القاطرة البخارية.

ردت على حماسه بنظرة باردة .. إنه في الحادية والثلاثين من عمره وهو الآن يزحف على اربع ويصفر بفمه مقلدا القطار..

والادهى من ذلك انها عاشقة له. "كاترين فين" عاشقة لرجل يقضي نهاره باللعب بقطارات صغيرة في الوقت الذي تتقافز فيه في حيوية من نشاط إلى اخر حتى تحصل على لقمة عيشها ، وان تتفن فنها ، وان تصبح استاذة ممتازة وها هو "ديفيد دود" يصدر ضجة قاطرة بخارية، إنه امر مزعج ومرعب . ومن الافضل ا لا تتحدث معه في ذلك وإلا انهارت .

قالت له :

- اتسمح لي باستعمال حمامك؟

- طبعا .. اي خدمة!

- لا .. شكرا انا متعجلة.

- انت دائما متعجلة .. انت في حاجة إلى الإبطاء ..

- لا أريد ذلك ؛ لانني احب ان اظل مشغولة .

اخذ منها "ديفيد" ثوبها لتعليقه . كانت عيناه تطلقان شررا جعل الكهرباء تسري في بدنها وبدا شعرها الأحمر وكانه سيشتعل. قال لها:

- على اية حال الا تجدين يومك مشحونا؟

- اعترف بان قليلا من التنظيم للوقت سيزيل عني بعض العبء، ولكن ذلك يتطلب بعض المران. اتري انني لا اصبر على العذور على الفيولونسيل فور استيقاظي . ولذتي تزداد عندما ابدا في مقطوعة جديدة بدلامن تكرار واحدة قديمة .

فكرت في نفسها : كيف يمكن له أن يفهم مادام ليس لديه هدف في الحياة ؟ إن هذا الرجل مدلل من صغره ، وهو رجل حياتها . والكارثة هي ان تعيش معه ، وهو ما يجعلها مجنونة. ثم ماذا سيحدث عندما يضيع ملايينه؟ إنه امر محزن حقا . هزت راسها:

- يالمسكين "ديفيد"؟

ردد كلامها دون ان يفهم :

- المسكين "ديفيد"؟

- إن حياتك هي عدوتك.

- كيف يمكنك ان تقولي هذا ؟ لقد اشتريت قطارا اليوم.

ردت عليه وهي تضم شفتيها بقوة:

- متى تصبح بالغا يا "ديفيد"؟

- انا بالغ .

ردت عليه مستنكرة وهي تندس إلى الحمام:

- طبعا لا .. انت لا تفكر إلا في اللعب .

- وماذا إذن؟ انت تلعبين ايضا بالفيولونسيل .

- حسنا .. إنني اعزف الفيولونسيل ولكن الأمر يختلف وانت تعرف ذلك تماما.

اغلقت "كاترين" باب الحمام بالمفتاح ونزعت ملابسها ثم وقفت تحت الدش . من حسن حظها انها لم تكن في فسحة من الوقت وإلا انطلقت في النحيب.

***

لم يعد "ديفيد" نفسه لزيارتها هذا المساء ، ولكنه مع ذلك ظل يتوقع سماع صوت محرك سيارتها قبل منتصف الليل . كان قلبه يقول : إنها لن تحضر . إنها غاضبة منه، لانها تظن انه بلا طموح واللعب في نظرها شيء طائش . إنه لايستطيع ان يتصور تعبير الياس على وجهها عندما اكتشفت ماحدث لسقفها الذي يحتوي على كل كنوزها وها هو الأمر يتكرر معه عندما راته يلعب بكنوزه المكونة من مئات الأسطوانات القديمة ، وست وثلاثين سيارة صغيرة ، وسيارة حريق، نماذج كاملة للسيارات المشهورة وهي لم تر بعد اكوام العجائب في الدور العلوي .

قال بصوت عال :

- كل شخص حر في ماله واستثماره كما أن إبداعات الوحي لا تاتي هكذا من ذات نفسها . وبعض الناس يدمن المخدرات والكحوليات اما انا فاحب اللعب.

تجنبته "كاترين طوال يوم الاربعاء كما لو كان طاعونا . إنه ولد ساحر ، ولكنه ببساطة لا يصلح لها . من الأفضل ان تقطع كل علاقة بدلا من ان تجد نفسها في طريق مسدود مع شريك مشكوك فيه وفي سلامة عقله.

إن هذا النوع من التجارب المؤلمة ليس في حاجة إلى تكرارها مرة اخرى لقد جربت حظها مع "اناتول".

سالتها "اليزا" عندما ذهبت للبحث عن شيء تتناوله عشاء لها في الثلاجة:

- ماذا حدث لـ"ديفيد"؟ إنني لم اره ياتي هنا اليوم .

- لابد ان لديه شيئا عاجلا ينهيه.

- يبدو عليك ان مزاجك عكر .. هل ضايقك ؟

ردت الشابة وهي تمد انفها للأمام :

- لا .. إنه لم يضايقني ، ولا يوجد سبب لذلك.

- هذا الفتى يمتلك خمسة ملايين دولار وله اجمل جسد رايته في عمري البالغ ستة وستين عاما تدعينه يفلت من بين اصابعك؟ - إن المال ليس كل شيء.

- موافقة. ولكن الجسد؟

لم تجد "كاترين ما تجيب به فتنهدت مفكرة قائلة لنفسها: إن عليها ان تتماسك وان تذهب لتعزف بعض موسيقى "هايدن" التي لا يوجد مثيل لها في تهدئة اعصابها .

اخذت "اليزا" طعاما مجمدا من الفريزر ، ووضعته في الميكروويف .

- إن ما تحتاجينه هو تغيير افكارك وان تفعلي شيئا مغايرا حتى تصفو روحك من مشاكلها .

- ليست عندي مشاكل .

- حقاً ؟ وتلك التنهيدة التي صدرت عنك؟ انا .. انا، فإنني اشعر انك تتحرقين شوقا لـ"دود".

- هذا غير صحيح .

- إذن انت حمقاء . اي شابة لديها ذرة من العقل ستشتاق إليه.

- حسنا ! ربما كان في كلامك بعض الصدق.

جلست "اليزا" وفي يدها قدحها الساخن امام مائدة المطبخ ، واكلت بعض المكرونة بالجبن.

قالت وهي تقطع شريحة من اللحم البارد:

- ليس من عاداتي ان اقدم نصائح من هذا النوع، ولكنك في حاجة إلى استعادة نشاطك وحيويتك. لقد كنت في الماضي محتاجة لمن يرشدني . ما رايك في ان تصحبيني للعب الورق هذا المساء؟

- اوه..!

- هذه ليلتك الحرة إذا لم اكن مخطئة.

- حسنا .. نعم.

- رائع ! اتفقنا إذن . ومن الأفضل ان نسرع لانني احب الوصول إلى هناك مبكرة.

تساءلت "كاترين" : هل تلعب الورق وليلة كاملة ؟

هي "كاترين" المرعبة .. تبعت "اليزا" وهي تعدو:

- اسمعي ! يسعدني جدا ان اصحبك . ولكن ...

ظلت ذراع "اليزا" معلقة في الهواء وهي ترتدي معطفها.

- ولكن ماذا ؟

لم يصلها اي رد : نظرت "كاترين" إلى المستاجرة في دهشة وفتحت فمها ، ولكن الكلمات رفضت الخروج منه.

ردت "اليزا":

- ماذا ؟ ماذا يجب عليك ان تفعليه ؟

- يجب .. ان اشتري معطفا ؛ لانه ليس عندي ما ارتديه للخروج.

- لاتقفي هكذا مسمرة في مكانك .. إننا لن نذهب إلى حفل راقص وإنما إلى مجرد مجموعة لعب .

- ومع ذلك لست ادري إن كانت هذه فكرة جيدة ! إنني لم العب الورق من قبل وساضايقكم.

- لاتشغلي بالك وساشرح لك كل شيء.

ما إن خرجتا إلى الرصيف حتى وجدتا نفسيهما وجها لوجه مع "ديفيد" ، نظرت إليه "كاترين" ثم "اليزا" التي قالت :

- إنها ضربة حظ .

اتسعت عيناه في تعبير فضول تام:

- هل تذهبان إلى مكان ما ؟

قالت العجوز:

- نعم .. إلى حفلة لعب ورق ويمكنك الحضور إذا اردت .

وضعت "كاترين" قبضتيها بجانبيها .

- لن انهب إذا ذهب هو !

ردت "اليزا" على "ديفيد" شارحة:

- إنها متضايقة .. ماذا فعلت لها في الليلة الماضية؟

- لا شيء.

- هذا إذن هو السبب . عندما كنت في سنها كنت اتضايق عندما لايفعل احد معي شيئا.

وقعت عينا "اليزا" على السيارة اليابانية الصغيرة القابعة في مكانها وقد تحطم صدامها الخلفي ثم انتقلتا إلى السيارة البورش الفاخرة الخاصة بـ"ديفيد" ثم قالت:

- لم يسبق لي أن ذهبت للعب في سيارة "بورش".

قال "ديفيد".

- إذن لناخذ سيارتي .. هذه الفرصة وإلا فلا.

ردت "كاترين":

- إذن "لا" بالنسبة لي .

احاط كتفيها بيد حازمة وسحبها في طريقه.

- هيا إلى حفل لعبة الورق ! ليس من المعقول ان تدعي هذه الفرصة تفلت منك . أليس كذلك ؟ ويجب ان تعيدي التفكير مرة ثانية.

- لقد فكرت وقررت !

فتح باب السيارة البورش ودفع "كاترين" إلى داخلها

- إذن فكري مرة ثالثة.

انسلت "اليزا" بجوارها على نفس المقعد المجاور للمقعد السائق وحاصرتها بينها وبين "ديفيد".

- هذه السيارة على اية حال شيء مميز. أليس كذلك ؟ كلها مكسوة بالجلد الطبيعي .

اخذت تمرر اصابعها في إعجاب على التابلوه الأمامي . جلست الشابة قريبة من ذراع تغيير السرعات وقالت محتجة :

- إن هذه السيارة لاتسمح إلا براكبين .

- ولكن على العكس .. إنها تشعرنا اكثر بالعلاقة الحميمة الخاصة

الفصل السابع

عاد التيار الكهربائي ثانية وتم تجهيز السقف وكذلك السطح . وانتقلت "اليزا" إلى الدور الثاني وكل شيء عاد إلى طبيعته وإلى الهدوء والسلام . حتى اصبح لايسمع صوت ذبابة تطير .

فكرت "كاترين" انه النهار المثالي للعزف على الفيولونسيل "ومع ذلك لم تستطع ان تبدا العزف .

ورغم ان الأمر لا يمكن تصديقه فإن الضجة والنشاط خلال الايام الأخيرة اشتاقت إليها وإلى النجار "مارك" وموسيقاه الشعبية. طبعا لا تنسى ملك الترفيه "ديفيد دود" لقد كان يطاردها ويسيطر على خيالها ، واصبح من المتعذر عليها أن تجد النوم . وقهوتها السريعة كانت بدون طعم والساعة فوق الجدار تقترب من موعد مباراة كرة القدم .

تنهدت وانحنت على التها الموسيقية . إنها تلك المباراة في كرة القدم التي انتهى بها الأمر إلى قبولها بعد حفل ورق اللعب في ليلة امس والتي تمتعوا فيها كثيرا.لم يكن من الواجب عليها ان تقبلها باي حال من الأحوال .

لقد برر دعوته بانه كان في حاجة إلى الهواء النقي. إنها جعلت نفسها موضع السخرية والأسوا من ذلك انها اضاعت وقتها مع العدو بمعنى الكلمة . ذلك أن مبدا الكسل الذي يعتنقه "ديفيد" اثر عليها . وعرف كيف يغريها ...

اشمازت "كاترين" ثم امسكت بالتها من عنقها وسحبتها هي والمقعد إلى الصالون حيث جلست امام النافذة . إن هذه الحجرة مشمسة اكثر من المطبخ وهي اكثر منه عمليا في قراءة النوتة الموسيقية . كان هذا العذر مجرد مبرر لحضورها إلى هذا المكان كي تراقب الطريق من النافذة.. لا .. إنها سيدة تحسن تنظيم نفسها.

ما إن رتبت النوتة حتى حط عصفور على النافذة ليشتت أفكارها . اخذ العصفور يركز عينيه عليها وهو يهز ذيله في حركة مستمرة . لم تتحرك "كيت" من مكانها حتى لاتزعجه وخطربالها فكرة ممتازة : لماذا لاتضع علبة بها غذاء امام النافذة وتجلس لمراقبة العصافير ؟ . ما الذي حدث لها هل ستترك العمل وتراقب العصافير؟

أسندت ظهرها على ظهر المقعد وفقدت قدرتها على التركيز . كل ذلك بسبب "ديفيد" . لم يحدث في حياتها أن شتتت العصافير فكرها إلا بعد أن اصبح "ديفيد" جارا لها .

عندما سمعت صوت إغلاق بابه الامامي عرفت "كيت" ان الساعة المنتظرة حانت . حسنا .. إنها تعترف بذلك . إنه كسول ولكنها تتحرق شوقا لان تراه . اخذ قلبها يدق بلا انتظام مما جعلها تشعر بالغضب إن حبها العابر لـ"ديفيد" يجرها إلى عاطفة جارفة لاتريدها باي ثمن .

احس "ديفيد" بمزاجها المتقلب من لحظة نزوله سلالم منزله الامامية فذهب للقائها .ومع ذلك علت الابتسامة شفتيه وسالها :

- كيف مرت فترة الصباح؟

- سيئة!

- إلى هذه الدرجة؟

- لم افعل شيئا في فترة الصباح . وهل تعلم لماذا ؟

بسببك وبسبب "مارك" ومطربه المفضل وبسبب "اليزا" ، وهذا العصفور المغني الذي طار .

- "مارك" ؟ أي مطرب!

- "مارك بيمان" النجار ، ومغني الموسيقى الشعبية الأمريكية الذي يستمع إليه بلا انقطاع ، ولم أعد أطيق سماعه مرة أخرى .

لقد تصور "ديفيد" أن عليه أن يتخلص من عدوين مرتقبين.

- بالنسبة للموسيقى الشعبية يمكن تدبير الأمر ، وإذا رغبت أن أعيرك بعض الأسطوانات...

- إنني لا أريدها ولا أهتم بالموسيقى الشعبية . إنني أريد أن أعود إلى شخصيتي السابقة . لقد كنت سعيدة وهادئة.

أخذت منه كرة القدم التي كان ممسكا بها ، وأخذت تفحصها . كم هو غريب أن تكون تلك الكرات قبيحة لهذه الدرجة!

قالت له :

- هل سبق أن انتبهت لمدى قبحها ؟ لماذا لا يصنعونها بألوان أخرى بدلا من اللون الكستنائي الرهيب ؟ ثم هذا الشكل الذي يشبه الشمامة . انظر : إنها لاتثبت في يدي.

- يجب أن نؤجل هذا الدرس ليوم آخر.

- هل تمزح أم ماذا ؟

رد "ديفيد" وهو يضبط يدي الفتاة حول الكرة .

- أنا ؟ إطلاقا . اترين .. إنك تستطيعين القبض عليها بقوة إذا أحسنت مسكها . والآن سأتقهقر بعض خطوات .. هيا .. القيها إلي!

طارت الكرة على ارتفاع متر من رأسه وصدمت الأباجورة . بدا على "كاترين" الغيظ.

وقالت:

- كان بإمكانك أن تمسك بها .

استعاد الكرة وهو يكتم ابتسامة .. حسنا إنها بدأت تهتم باللعبة . إنها تحاول أن تؤدي كل شيء في كمال سواء كان في العزف على التها

"الفيولونسيل" أو في تزيين الفطيرة بالكريمة أو في إلقاء الكرة .. إنها دائما تنحو نحو الكمال ، ويجب أن تنجح وأن تفوز . وجهت رمية أخرى إليه .

- هذه المرة انظر إلي ، وليس إلى الكرة .

دارت كرة "البيسبول" في الهواء ، ولكنه أمسك بها بسهولة . صاحت:

- برافو! أنت موهوب.

إنها قادرة على إلقاء كرة "البيسبول" ، ولكن أن تمسك بها فهذا شيء آخر . أرسلها إليها وسقطت هذه المرة فوق رأسها .

قالت:

- لقد فعلتها عن عمد !

- هيا .. ابدئي وتذكري أن تكون عيناك مركزتين عليّ عندما تقذفينها، وعلى الكرة عندما تتلقينها.

قالت "كاترين" وهي تلتقط الكرة التالية بين يديها :

- لقد مرت ! والآن راقب جيدا ما سيحدث لك. انظر إلي .. حسنا .. هيا !

انحشر كعب حذائها في حرف الرصيف ، ثم تعثرت وسقطت كالصخرة . وعندما لم يجدها تتحرك بعد دقيقة كاملة . سالها في قلق:

- هل أصبت نفسك ؟

- نعم .

قال وهو يلحق بها :

- هل الإصابة سيئة؟

- نعم .

- أين هي ؟

رفعت الشابة جسمها فوق كوعها .

- في كل مكان خاصة في ساقي اليمنى .

- هل يمكنك تحريك قدمك ؟ وهل يمكنك النهوض ؟

قامت بمحاولة ثم عضت على شفتها من الالم.

- لا .. اللعنة !

- هيا لاداعي للخوف .. دعينا نر ماذا هناك.

ركع "ديفيد" على ركبتيه ورفع طرف البنطلون إلى اعلى ساقها . وقال:

- حسنا ليس هناك جرح مفتوح على الاقل.

- وماذا إذن ؟

- إذن ساحملك إلى المستشفى لإجراء اشعة.

بعد اربع ساعات ركنت السيارة المستاجرة والتي نقلتهما بجوار الرصيف امام المنزل . ظهرت "اليزا" على العتبة ونظرت إلى داخل العربة ثم وضعت يدها على صدرها . وصاحت :

- يا إله السموات ! لقد اعتقدت ان احدا مات .

- ماذا تفعلان في هذه العربة ؟

شرحت الشابة وهي تشير إلى جبيرة الجبس الضخمة التي تحيط بالساق اليمنى .

- لقد كسرت ساقي ولم استطع ان ادخل هذه المصيبة في سيارة "البورش" .

مد "ديفيد" يده بعكازين وناولهما للسيدة العجوز وساعد رفيقته على الخروج من السيارة .

- لقد كنا نلعب كرة القدم الأمريكية عندما انطرحت ارضا.

- لايبدو عليها السعادة !

رد وهو يدفع اجر السائق :

- إنها ثائرة . لانني تسببت في إلغاء كل دروس ما بعد الظهر .

- وقد اضطررت للاتصال بالاوركسترا" وقلت لهم : إنني مضطرة لالتزام السرير.

قال - وهو يرفعها فوق ذراعيه -:

- قال الطبيب : إن عليها ان تحافظ على ساقيها لاعلى مدة اربعة ايام او خمسة.

- ضعني على الارض !

- بعد ان انقلك إلى الداخل .

قالت وهي تزمجر وتعترض :

- ولكنك اخطات الطريق.

- سانقلك إلى منزلي حتى تسهل العناية بك.

- لا !

- لقد اصبت بسببي . وعليه يجب ان اكون ممرضتك .

قالت "كاترين" موجهة الحديث إلى العجوز:

- "اليزا" ! افعلي شيئا .. إنك لن تسمحي له على اية حال ان يختطفني.

- بل سادعه يفعل . هل دعوة العشاء يوم السبت لازالت قائمة؟

قال "ديفيد" مؤكدا وهو يفتح باب الدخول :

- بكل تاكيد .. ابتداء من الساعة الخامسة.

عندما اصبحا في الداخل سالته "كاترين":

- اعتقد انك دعوت والدي مساء السبت؟

نقلها إلى الدور الأول ووضعها على اريكة ثم وضع وسادة فوق المائدة المنخفضة حيث اراح ساقها اليمنى عليها . ثم رد :

- هذا مضبوط .. لقد دعوت "اليزا" ايضا..

- ياإلهي !

- ليس عليك ان تقلقي . لقد حذرتها انه سيكون عشاء راقيا . واعتقد انها ستترك سلاحها العزيز في حجرتها .

اختار "ديفيد" فيلم فيديو من فوق الرف وادخله في جهاز العرض .

ظهر على الشاشة "مغامرات السهم المفقود" ، وقال:

- إنه فيلم كلاسيكي ممتاز ، وقد رايته اكثر من مائة مرة.

- اف ! اليس هذا هو الفيلم المليء بالعناكب؟

- بلى .. يوجد الكثير من الحيل فيه والخدع من اسهم مسمومة وكل انواع الفخاخ التي لا يمكن تصورها وكم هائل من المطاردات المخيفة. سادعك تشاهدينه بينما اعد العشاء .

اسندت الشابة راسها على مسند الاريكة واغمضت عينيها . ياإلهي ! كيف ستتحمل اربعة ايام او خمسة على هذه الحالة؟

احست برغبة قاتلة من الحركة بسبب ما تحسه من تنميل في قدمها بينما كانت اصابع قدمها محشورة بطريقة مؤلمة ، وذلك الجبس الذي يضايقها بشدة . إنها كارثة . ولكن عليها ان تعترف بان هناك كوارث رهيبة بالنسبة لما حدث معها كالمجاعات والكوليرا والحروب ، وهي ما تعد فعلا كوارث .

إن الاشعة اظهرت أن ما حدث لها لايعد شيئا منكورا.

لم يبق امامها سوى مشاهدة مغامرات المدعو "انديانا جونز" إلا انها لاتريد مشاهدة حكاية العناكب. عاد " ديفيد" سريعا يحمل صينية شهية.

- لماذا اغلقت عينيك؟

- بسبب العناكب . هل لازالت هناك؟

- لا . لقد رحلت .. والآن ستعرض لحظة الفراق عن معشوقته.

وضع الصينية على المائدة وجلس بجوارها .. وقال .

- إذا كان هذا الفيلم لايعجبك يمكننا تغييره .

- لا لا داعي للتعب . ولكن اين وجدت هذا؟

اشارت إلي الاطباق التي كانت في انتظارها .

- هذه "لازانيا" منزلية ، وخبز إيطالي وخس

- إنها بقايا الفريزر ، وقام صديقي بتسخينها في فرن الميكروويف من اجلنا عدا السلطة

- اتحب اعمال المطبخ؟

- لا .. ولكني احب الاكل بصفة خاصة ، ولذلك تجدينني مضطرا لان اطهو بعض الطعام.

تذوقت الشابة بعض " اللازانيا" واستطعمتها

- إنها لذيذة . يجب ان اعترف انني لم اتذبه ابدا لغذائي ولا لشهيتي.

- اما انا فانني على العكس ويجب ان تهتمي بوجباتك حتى لاتحسي بانك وحيدة في بيتك.

- ليس حاليا . لقد كانت اكثر فتراتي وحدة عندما كنت اعيش فيه مع "اناتول" . هناك عدة انواع من الوحدة كما تعلم.

- الاتفكرين ابدا في الزواج مرة اخرى؟

كذبت عليه ، لانها في الصباح كتبت اسمها مقرونا باسمه على الغلاف الذي غطى مكتبها

- لا على الإطلاق .. وانت ؟ هل تحب ان تتزوج؟

اخذ يمضغ قطعة من التورتة وبدا عليه التفكير.

- موافق .

- موافق على ماذا ؟

- موافق على ان اتزوجك .

ظلت الشوكة التي في يد الشابة معلقة بين فمها وطبق الحلوى وقالت:

- لقد سالتك سؤالا محددا . ولم اطلب منك الزواج .

- حسنا .. هذا ما اعتقدته .. والاجابة هي .. نعم.

- اي ريح سعيدة القتني في طريق رجل يجيد المزاح؟

رد عليها ولمحة من المكر في عينيه:

- إنني جاد . ويجب ان تنتبهي ، وإلا الزمتك بوعدك.

إنها واثقة بانه يمزح ، ومع ذلك غزاها شعور بعدم الارتياح . سالته:

- هل هناك حلوى ؟

جمع "نيفيد" الصحاف الفارغة من فوق الصينية ونهض .

- هل تغيرين الموضوع؟

- إن هذا النوع من الأحاديث يحرجني في الحقيقة .

- ليس هناك داع لأن تهربي من السؤال . إن الزواج مثل ركوب الخيل . المرء يسقط وينهض ويمتطي الجواد مرة اخرى وهكذا إلى أن ينصلح الحال .

- ها ها ! وماذا عن الحلوى ؟

بعد دقائق عاد الرجل بقطعتين من الآيس كريم بالشوكولاتة عليهما كمية كبيرة من الكريمة المخفوقة واللوز المبشور والبندق والفراولة ودوائرمن الموز . وقال:

- لم اعرف ماذا تفضلين . فاضفت قليلا من كل شيء .

- شيء مؤثر ولطيف للغاية وصورة خلاقة.

- ولكني إنسان مبدع خلاق .

ردت "كاترين" وهي تدس ملعقتها وسط الآيس كريم :

- يجب عليك الاستفادة من هذه الموهبة .. اليست لديك رغبة في ان تعمل شيئا بخلاف القطارات؟

قال لها وهو يمسك علبة اقلام ملونة :

- إنني احب الرسم وقد اشتريت هذه العلبة الجديدة اليوم ، وهي ليست عادية فهي مكونة من ثمانية واربعين قلما ، وافضل هذه الاقلام على الاخرى الطويلة لانها مريحة في اليد . هيا خذيها وتسلي برسم شيء وانت تشاهدين التليفزيون.

سحب كراسة رسم من على المائدة ووضعها فوق ركبتي "كاترين" وفوقها علبة الألوان.

- اوه .. لا اعتقد انني ...

- بل تستطيعين ، واؤكد لك ذلك وساحضر غيرها .

امتنعت عن الضحك وهي ترى نفسها ممسكة بعلبة الألوان الجديدة . سالته:

- اي موضوعات ترسمها؟

- موضوعات مختلفة خاصة الرسوم المتحركة ، وكنت اود ان افعل ذلك دائما عندما اكبر.

- إذن تتوقع ان تصبح كبيراً.

- انت تعرفين انني كبير بما فيه الكفاية.

- ليس إلى هذه الدرجة .. ثم انتبه إلى ساقي المكسورة . وكوننا مخطوبين لايعطيك الحق في شيء.

- إنني سعيد ان اسمعك تقولين : إننا مخطوبان.

ردت عليه "كاترين":

- إنني لااعترف بشيء ، ثم دعني اكمل الآيس كريم.

زال عنها توترها وغضبها ، وليس امامها ما تستطيع ان تفعله فهي تحس بالسعادة معه كما لم تحسها مع اي رجل اخر . ثم هناك اوقات مثل هذه الامسية تحب فيها ان تتمتع باللحظة الحاضرة دون ان تقلق على المستقبل او اي شيء اخر . لقد كان وجودها مرتبطا دائما بالعمل المحموم . والآن وساقها مكسورة الم يحن الوقت بعد لوقفة راحة يوما او اكثر؟

سالها :

- الآن وقد انتهيت من الآيس كريم .. الا تشتهين شيئا اخر؟

- بلى. اشتهيك انت .

اخذ قلم الوان احمر من الحقيبة وكتب على جبيرة الجبس بخط كبير " انا احبك".

***

عندما استيقظت "كاترين" من نومها في سرير "ديفيد" لم يكن الخط الاحمر هو الوحيد فوق جبيرة الجبس ، وإنما ستة الوان منوعة تزينها .

قال لها وهو يتثاءب:

- إنه اليوم العظيم .. إن الام "فين" ستحضر للعشاء هذا المساء.

- هل انت متاكد ؟

- متاكد .. إننا في يوم السبت.

قالت له وهي ترفع جسمها فوق كوعها :

وماذا عن يومي الخميس والجمعة ؟ إنني لم احس بمرورهما. - يوم الخميس قضيناه في تصفح المجلات المصورة والصور المتحركة ، وقضينا الجمعة في عد العلامات الملونة فوق جبيرة الجبس .. اوه لابد انني فقدت من الوزن كيلوجرامين واحتاج ليوم راحة.

تحسس ذقنه الذي لم يحلقه منذ ثلاثة ايام.

- إذا لم احلق ذقني فهل سيلاحظ والداك ذلك؟

- بالضبط هذا ما كنت اود ان احدثك عنه . ياإلهي ! إنني لم المس "الميولونسيل" من ثلاثة ايام. هل هذا ممكن؟

- اندرين ؟ ساحضر آلتك من بيتك . وعليك ان تحزفي لنا مقطوعة بينما اعد الفطور.

بعد ساعة وجد "ديفيد" نفسه يقلب الجمبري على نغمات موسيقى باخ . او ربما صوت نفير سيارة الشرطة.

استدارا في وقت واحد وهما يسمعان صوت احتكاك خفي على الباب الزجاجي للمطبخ .

إنه "هوارد" وزميله . قال "ديفيد" وهو يدخلهما :

- لقد وصلتما بالضبط في وقت الإفطار.

التهم "هوارد" الجمبري بعينيه وتاوه:

- اتدري ماذا اعطتني زوجتي فطورا؟ علبة زبادي كاملة وكوبا من عصير برتقال وكسرة فطيرة. إنها تزن غذائي بالميزان . لديها ميزان صغير وتزن كل ما التهمه وتفتش جيوبي بحثا عن فطائر او حلوى وتشم فمي في المساء لتعرف إن كنت تناولت بيتزا.

مد رفيقه يده إلى "ديفيد" قائلاً:

- انا "ادسلوكوسكي" وينادونني " سليك" لقد قال طبيب "هوارد" له إن عليه ان يفقد خمسة كيلوجرامات من وزنه . ولكنه زاد كيلو اوكيلو ونصفا منذ بدا النظام الغذائي.

قال "هوارد" شارحا:

- إنه عيب في الهورمونات .. لا دخل لي به .

سالهما المضيف : إن كانا يريدان قهوة وهو يقدم لهما مقعدين ؟ هز "هوارد" راسه موافقا.

- إننا نطلب منك معروفا . اتذكر ماذا قلته لنا وانت تضحك في ذلك الوقت ؟ من ان علينا ان نركن الطائرة الهليوكوبتر في المخزن وناتي لنستقر عندك في المرة القادمة ؟ ها نحن نحب أ ن نفي بوعدنا .

قال المساعد:

- إنه يغامر بضربة كبرى .

- هذا محتمل .. فإن نافذة حجرتك تطل على زاويةرؤية مثالية لمراقبة جيرانك.

- وكم من الوقت تتوقع ان تبقى هنا؟

استقرت عينا "هوارد" على الجمبري الخاص بـ"كاترين" وعندما صبت عليه الصلصة ضغط بشدة على قدحه .

- إذا سارت الامور على مايرام فسنرحل هذا المساء . إنهم ينوون بيع المخدرات . هذه صلصة لذيذة..

اغترف "ديفيد" كمية وفيرة من الجمبري ووضع فوقها بعض الزبد والصلصة . وقال:

- يجب أن تهتم بمسالة النظام الغذائي يا"هوارد" الامر مجرد إرادة قوية لاأكثر.

رد "هوارد":

- انتبه لما تقول يا "ديفيد" فانا مسلح ويائس.

دس "ديفيد" كمية وفيرة في فمه ، وقال :

- إن ما تحتاجه حقا هو بعض التمرين.

- وهل هذا ما تفعله انت ؟ إن من يراك يظن انك زدت نحافة عن قبل ذلك ويمكنني ان اقول ايضا: إن لك مظهرا مخيفا ، وهناك جيوبا تحت عينيك . انت في حاجة إلى الراحة.

كتمت "كاترين" ضحكة مجنونة وركزت على إفطارها . انتقلت نظرات "هوارد" بين "ديفيد" و"كاترين" فاحمر وجهه وقال .

- اوه !

اعلن "سليك" وهو ينهض :

- سانهب لإحضار الادوات .

لم يكن "ديفيد" مسرورا وقال :

- إنني ساستقبل ضيوفا على العشاء هذا المساء.

- ليست هناك مشكلة ولن تحس بوجودنا

عاد "سليك" ومعه كاميرا فيديو وحامل ثلاثي وجهاز اتصال داخلي وبدفيتان

- إنه لطيف منك ان تعيرنا منزلك هكذا وسنحاول الا نكسر شيئا .

كان هذا الوعد غير مطمئن وسيطر على فكره منظر منزله وقد

اخترقته الطلقات . فساله:

- ارجو الا يحدث عنف .. اليس كذلك؟

- لن يحدث عنف على الإطلاق.

اعاد "هوارد" ملء قدحه واتجه للصعود للدور العلوي .

ثم توقف في منتصف الطريق ، وساله :

- مم سيتكون العشاء ؟

- لحم بقري، شرائح مع عجينة البطاطس وقنبيط مطهو على البخار وجاتوه بالكمثرى المحفوظة.

ضرب الرجل راسه في الحائط

- ياإلهي ! كل ما اعشقه.

جلس "ديفيد" مرة ثانية وظل يراقب "كاترين" . كان شعرها الاحمر مهوشا وتحيط خصلاته بوجهها الرقيق . كانت عيناها عميقتي التعبير وهي تقرا النوتة الموسيقية، بينما كان فمها المتحرك يكرر اللحن . قطعت اللحن ثم اعادته بطريقة مختلفة . كانت الشابة تحلل ما يقابلها من صعاب ووضعت علامة على النوتة ثم اعادت اللحن مرة ثانية . حتى "ديفيد" استطاع ان يميز الفرق . استقرت اخيراً على القطعة . إن طريقتها في العمل وإصرارها على الكمال كان يسحره تماما. رفعت عينيها وبدت عليها الدهشة من وجوده

- الا زلت هنا؟

- انا في منزلي .

- اعلم . ولكن اليس هناك ما تفعله ؟ فطيرة تصنعها او اي شيء آخر؟

- لقد اردت ان اتاملك فترة . انت جميلة وانت تعملين

ظلت "كاترين" مدة لاتجد ما تقوله وهي تحس بالشبع العاطفي والسعادة القصوى . إنه يحبها . كان ذلك واضحا في نظراته وصوته

وفي الطريقة التي يعاكسها بها . لم يحبها احد من قبل مثلما يحبها هو . إن كل جسدها يبتسم امام عاطفته الواضحة . قالت :

- شكرا!

بدت تلك الكلمات غريبة ومثيرة للاستغراب كما إن وجهها احمر خجلا .

لم يكن "ديفيد" يريد منها ان ترحل ...

اخذ نفسا عميقا وقال :

- عندك حق .. سانهب لصنع فطيرة.

الفصل الثامن

وصل والدا " كاترين" في تمام الخامسة بالضبط. كانت امها ممشوقة القوام ترتدي "تاييرا" بلون ازرق بحري وقميصا من الحرير الوردي . بينما قصت شعرها البني قصة قصيرة مما اظهر حلقا ضخما من اللؤلؤ والذهب. وكان وجهها جميلا رغم ما بدا عليها من خوف.

اما والد الشابة فكان رجلا سمينا وبدا انه ينحدر من سلالة ايرلندية خشنة . كان وجهه مربعا وشعره احمر مجعدا بعض الشيء وله عينان خضراوان مثل ابنته وإن كان لونهما حائلا بعض الشيء بحكم السن. كان متوسط الطول . ومن الواضح ان عظامه ثقيلة .

صافح يد "ديفيد" وكانه يزنها . قال "ديفيد" :

- سعيد بمعرفتك ياسيدي.

- اعتقد ان ابنتي تعيش معك.

تامل بنية محدثه القوية وتراجع للخلف في حذر.

www.elmanaraa.com

- لقد كسرت ساقها ، وكان من السهل ان اعتني بها في منزلي.

تقدمت "كاترين" مستندة على عكازيها :

- خبرني يا ابي . هل ستبدأ في استجواب "ديفيد"؟

اجاب "ميشيل فين" وهو يبتسم :

- نعم طبعا . من المفروض على الآباء ان يقوموا بهذه الامور . الم نكن مدعوين لهذا العشاء لهذا السبب؟

اتجهت "جريس فين" نحو الصالون . قالت :

انظر ياعزيزي .. إن "ديفيد" لديه اثاث جميل، وهذه الزهور ساحرة.

سمعوا طرقا على الباب ودخلت "اليزا" وهي تقول :

- اللعنة ! إنها ستمطر ثلجا ، والبرد شديد وقارس .

اخذ منها "ديفيد" معطفها ، ولكنها اصرت على الاحتفاظ بحقيبة يدها السوداء الضخمة اللامعة .

شرحت للسيدة "فين":

- إنني اتجنب دائما ان تفارقني لحظة : لان المرء يحتاج من لحظة لأخرى لاستخدام منديل اليد.

تبادل الشابان نظرة قلق وهما يشكان في محتويات الحقيبة . قال "ديفيد":

- اعتقد اننا اتفقنا يا "اليزا" على ان تتركي منديلك الليلة في البيت.

قالت العجوز وهي تجلس على مقعد والحقيبة فوق ركبتيها :

- اعلم ، ولكني في الحقيقة اتضايق لو خرجت بدونه والإنسان لايعلم متى يستخدم منديله.

جلست "كاترين" في مواجهتها ووضعت ساقها المصابة على وسادة عالية سالتها امها:

- ما هذا الذي أراه على الجبس؟ إنه يبدو الوانا للرسم.

نظرت الشابة إلى الجبس بعين مشدوهة:

فتدخل "ديفيد":

- إنه من اجل الأصابع ؛ إذ يجب تحريكها عدة مرات في اليوم، وللتاكد من اننا قمنا بذلك التحريك فإننا كنا نضع علامات على الجبس.

هزت "اليزا" راسها:

- وهل كان من الواجب ان ترسموا كل هذه الخطوط والاشكال ام تعتبراننى بلهاء لاصدق هذا الكلام؟

علق "ميشيل فين":

- هذه علامات كثيرة جدا . الم ينصحو كما ابدا بالاعتدال ؟ إنك تبالغ يا ابني وسينتهي الامر بك إلى ان يخونك قلبك.

اخذ الرجل يطرق باصابعه فوق مسند المقعد في مرح ، بينما احس "ديفيد" بالنار تشتعل داخله .

- إنني بصحة جيدة ياسيدي .

- إن شكلك مرعب . وهناك جيوب تحت عينيك.

- لقد زادت اعبائي الوظيفية.

قال الأيرلندي وهو يضيق عينيه:

- انا لا اشك في ذلك.

تدخلت "كاترين" والشرر في عينيها:

- ابي !

استمر الرجل .

-لابد انك تحصل على مرتب عال كي تتمتع بمثل هذا المنزل

عدل "ديفيد" من رابطة عنقه وفتح الزر العلوي من قميصه لقد كان في حاجة ماسة إلى الهواء .

- في الحقيقة اشتريته من ورقة يانصيب رابحة.

ظل "ميشيل فين" صامتاً فترة وهو يحاول ان يهضم المعلومة ثم أعلن اخيرا:

- من ناحيتي أنا لا العب باليانصيب.

- آه .. هذا رائع ياسيد "فين"!

بدا "ديفيد" يفهم "جريس". لاشك أن ما يحصل عليه والدها من العمل هو ذو قيمة عالية . إن والدها رجل ممن يرجع نجاحهم الاجتماعي إلى كفاحه الذي هو فخور به . ولما كان قد طبع هذا الشعار في راس ابنته كان من الصعب عليها أن تحترم كل من يكسب مالا بطريق سهل . إنه متأكد من انه لامكان لألعاب الحظ في بيت "فين" .

قال الرجل:

- انا أؤمن بالعمل الجاد واي مال تربحه من العمل تقدره حق قدره . وماذا تعمل بالضبط ؟

ها هو السؤال المنتظر قد وصل وهو ليس خجلان من نشاطه فحسب وإنما ايضا من ان الناس لايفهمونه ابدا.

- حسنا .. في الواقع انا لا اعمل عند احد .

- بمعنى ؟

- لنقل : إنني اعمل لحسابي بطريقة ما .

ذهب "سليك" درجات السلم ، ثم وقف فجاة أسفله . قال متلعثما ومن الواضح انه دهش من ذلك الاجتماع :

- مساء الخير.

تنفس "ديفيد" بعمق . إنه لاينقصه سوى هؤلاء .

قال شارحا لضيفه :

- إنهما صديقان لي يعملان في التصوير اعلى وهما متخصصان جدا .

أكد "سليك" ذلك وهو يتجه نحو باب الخروج :

- نعم متخصصان جدا . أسف للإزعاج .. ساحضر مواد من السيارة

تبعته "اليزا" بنظراتها.

- لدي شعور بانني رايته من قبل .

ارتجفت "كاترين" داخليا وهي تتصور ساكنتها تخرج سلاحها الناري لتصرع "سليك" . وكل ذلك يتم أمام أمها لذا سارعت بالقول :

- لابد انك شاهدته في المقهى ربما مع "ديفيد".إنهما صديقان وسيحزن "ديفيد" لو حدث مكروه لـ"سليك" . اليس كذلك يا "ديفيد"؟

- قطعاً ساصبح في منتهى الحزن.

- حسنا والآن مادمنا سوينا هذا الأمر لننتقل إلى المشروبات المنعشة هل يريد احد عصير فواكه؟ وانت يا ابي هل تريد كوكا؟

فحص "ميشيل" علبة المياه الغازية ووجد انها مستوردة فقال

- إنها مستوردة. كم بالضبط ربحت في اليانصيب؟

- خمسة ملايين دولار.

- إنه مبلغ محترم .. هل استثمرته؟

- اوه لا .. ليس بعد ، وحاليا اقوم بالإنفاق منه

لاحظت "جريس" تعبير عدم التصديق على وجه زوجها ودون أن تدري ماذا تفعل احتست دفعة واحدة كوب العصير واتسعت عيناها وضربت صدرها بقبضة يدها للتخلص من الغصة في حلقها

- يا إلهي !

عاد "سليك" بشيء لايمكن إلا أن يكون بندقية وقد دسها في سترته هز رأسه في ادب لوالدي "كاترين" ثم انسل مسرعا نحو السلم

اطلقت "اليزا" صفارة طويلة بفمها:

- لتحل علي اللعنة إذا لم يكن ما يحمله بندقية

قالت السيدة "فين":

- لا اعتقد ذلك .. إنه مستحيل . اليس كذلك؟

رفع السيد "فين" حاجبيه دهشة ، وقالت "كاترين"

- إنه الحامل الثلاثي للكاميرا . واقول لك لاداعي لكثرة الاسئلة.

قالت "اليزا" بإلحاح:

- إنني احس شيئا ما.

- غير صحيح ، لأن ما تحسينه هو رائحة اللحم المشوي.

هل يمكن ان تحضر إلى المطبخ لحظة يا "ديفيد"؟

قال "ديفيد":

- ارجو المعذرة .. إنها الترتيبات النهائية للعشاء .

أسندت "كاترين" ظهرها وهي منهارة على باب الثلاجة واغلقت عينيها وهي تشعر باليأس.

- أود ان تعرفي شيئا واحدا ، وهو انه مهما يحدث هذا المساء فإنني احبك

- اتظن ذلك؟

- نعم وأظن أن أمك تحبني ايضا وكثيرا . وابوك لم يلكمني حتى الآن لكمة مباشرة في وجهي

- إنه متحكم في نفسه . إنهما في الحقيقة ليسا سيئين .. انظر من النافذة . من هؤلاء الرجال الذين يجرون داخل فناء منزلك ؟

- يبدو انهم رجال شرطة يختصرون طريقهم.

- كم انا غبية ؛ لانني اقلق من لا شيء.

عندما تحركت "كاترين" اصطدم كوعها بصينية الاكواب التي سقطت فوق البلاط . جاء صوت "اليزا"

- ماذا هناك؟ هل انكسر شيء ؟ ارجو الا يكون ذلك طلقات رصاص مرة أخرى ؟

قال "ديفيد":

- إنهما عكازا "كاترين" سقطا على الأرض ونحن بخير هنا

قال "ديفيد" لـ"كاترين"

- إننا في راحة تامة هنا . هل نطلب منهم الرحيل؟

- كم احب ذلك ، ولكن لابد ان نغذيهم قبل ذلك خاصة انني اعرف ابي .. هل تسمع نفير الشرطة؟

- لاشك انه شرطي تاخر على العشاء.

- في شارعنا هذا ؟ لايوجد شرطي يقطن في شارعنا هيا ناولني عكازي!

هبط "هوارد" السلم كل اربع درجات في قفزة واحدة ، وجرى أمام "ديفيد" وهو يقول :

- ساحضر الميكروفون المحمول ، والقنابل المسيلة للدموع . سأله "ديفيد" بأدب وهو على عتبة الباب:

- الا يمكن تأجيل ذلك إلى ما بعد العشاء؟

عاد "هوارد" تقريبا في الحال وذراعاه محملتان ووقف في وسط المطبخ ثم تشمم الهواء :

- يا إلهي ! هذا اللحم المشوي رائحته ملائكية . هل تشويه مع الجزر والبصل؟

- نعم .. منظره رائع ، اليس كذلك؟

- وهل ستعد صلصة ؟

- طبعا لأن ذلك سيزيده حلاوة.

وصلهما صوت "سليك" الراعد من فوق السلم .

- هيا يا "هوارد" وأسرع بهذه الأدوات !

احست "كاترين" وكان الأرض تدور بالعكس .

عد "هوارد بيرك" قنابل الغاز وهو يناقش قائمة الطعام مع "ديفيد" ، بينما كانت ام "كاترين" و"اليزا" جالستين في الصالون تحتسيان شرابا مقويا وهما تحاولان تحديد نوع بندقية "سليك".

قالت "كاترين" لهما عندما ذهبت لتنضم إليهما:

- كيف الحال ؟ هل تريدان شيئا اخر؟

مدت "جريس" و"اليزا" كوبيهما لها وقالت الام :

- لقد اخبرونا ان عصابة مخدرات سقطت اسفل والشخصان اللذان باعلى لايبدو عليهما انهما من الشرطة.

قالت "اليزا" وهي تربت حقيبة يدها :

- ها ها ! لقد احسنت صنعا بإحضاره.

اقترب منها "ديفيد" وقال لها مهددا:

- حاولي ان تلمسيه واقسم لك ان اصرعك بعكاز من عكازي كاترين

- ها ها! انت بمفردك ضدي ؟

قالت الشابة:

- وانا ايضا معه . وانا حمراء الشعر وتعرفين معنى ذلك.

- حسنا لقد فزتما هذه المرة.

ذهب "ميشيل" لينظر من النافذة.

- عصابة مخدرات ؟ اي نوع من الاماكن هذا ؟

اجاب "ديفيد" وهو يهز رأسه:

- حي هادئ جدا ومحترم للغاية وانا واثق بان المشكلة ليست متعلقة بالمخدرات

بدأ جهاز الاتصال الداخلي يصدر اصواتا، ثم سمع صوت تكسير زجاج وصوت "هوارد" في الميكروفون :

- حسنا نحن نعرف انك بالداخل يا "فريدريك" اخرج وانت رافع ذراعيك لاعلى

ساد الصمت ثم وجه "هوارد" الميكروفون للدور الارضي

- اسف بالنسبة للنافذة يا "ديفيد" فقد فشلنا في فتحها . في المرة القادمة لا تغلقها بالرتاج.

قال "دود":

- ربما كنت على حق يا سيد "ميشيل" بشان المخدرات، ولكن لابد ان الامر ليس بخطير . دون شك هناك فتى ضبط يدخن في الحمام . وانت تعرف طبعا الشرطة وما تفعله . دائما ردود فعل عنيفة . شربت "جريس" قدحها وسارعت ابنتها لتملاه مرة ثانية.

- الا ترين يا امي انك تشربين هذا العصير بسرعة؟ لابد ان تنتبهي لصحتك . وحتى لاتفقدي شهيتك.

- لاتقلقي يابنيتي ! إنني شربت كوبا واحدا .

- امي ! إنه على الاقل الثالث الذي شربته .

نظر "ديفيد" في ياس إلى الانوار القلابة الصادرة من الكشافات باللونين الأزرق والاحمر والتي تنبعث من اعلى سيارات الشرطة التي اصطفت امام المنزل . كم تمنى ان يغمى عليه حتى لايرى نظرات الاتهام في عيني السيد "فين".

- حسنا .. سانهب لإعداد عجينة البطاطس

سارعت "كاترين" وهي تنضم إليه قائلة

- ساساعدك.

حدثت مجموعة من التداخلات امام عتبة الباب ووقفت شاحنة تصوير تليفزيوني محلية صفا ثانيا بجوار سيارات الشرطة بالضبط امام النافذة التي وقفت امامها الشابة .

قالت لها "اليزا":

- إنني اجدك شاحبة للغاية . إنه فتى طيب . ولكنه يضعف عندما يجب عليه إطلاق النار على الناس. وكان من الواجب الا تعيشي في الأحياء الراقية حسنا .. ساساعدك في العزف؟

وضعت حقيبتها الشهيرة اسفل إبطها واتجهت للمطبخ ثم شرحت لـ"كاترين".

- إن السر في العجينة الممتازة هو في كمية اللبن.

تذوقت البطاطس وأضافت إليها قليلا من الزبد ثم اخذت تخفقه.

اخرج "ديفيد" اللحم من الصاج ووضعه على طبق ، ثم اغلق باب المطبخ واحس بان ذلك افضل واكثر امنا .

- ساعد الصلصة بينما تلاحظين القنبيط يا "كاترين".

تردد صيحات في الممشى الخلفي للبيت ، وفتح الباب الأخير فجاة على مصراعيه . اندفع رجل إلى الداخل ثم تسمر في مكانه وسط المطبخ. لم يتجاوز العشرين من عمره وكانت عيناه تشبهان عيني الحيوان المحاصر . اتى بحركة صاعقة ولمع نصل مطواه في يده.

قالت "اليزا" وهي تضع يديها في وسطها:

- اليس هذا قمة المأساة؟ ما هذه الطريقة التي تظهر بها عند الناس ؟

وجه الفتى سلاحه نحوها:

- اغلقيه ايتها العجوز الشمطاء وإلا سلخت جلدك!

اخذت تردد كلامه وهي تخرج المسدس ووجهته له .

- عجوز شمطاء ؟ الق بالمطواة و إلا افسدت مخك وانتبه إلى اطباق الطعام فلن يسعدنا ان تبعثر عشاءنا على الأرض .

وصل "هوارد" جريا ومسدسه في يده وظهر شرطيان في الحجرة .

قال "ديفيد":

- لقد تاخرت يا "هوارد" . إن "كلامتي جونز" . البطلة العجوز امسكت به بدلا منك.

قال "هوارد" :

- اسف لقد استطاع أن يفلت منا .

اكتشف "هوارد" المسدس الضخم في يد العجوز وانطلق منه السباب:

- هل لديك تصريح لاستخدام هذا الوحش ؟

اجابه ثلاثة اصوات في نفس واحد :

- طبعا .

- حسنا .. احفظيه في مكان امين وساتظاهر باننى لم اشاهده.

دخلت "جريس" المطبخ وهي تقول :

- لقد فتح "ميشيل" التليفزيون ليشاهد مباراة الكرة

هل هذا يضايقك ياعزيزي "ديفيد"؟

وسط هذا الجو الهستيري كان من الصعب عليه أن يكتم ضحكته المجنونة. قال للسيدة "فين" :

- بالتاكيد لن يضايقني .. من كسب المباراه؟

- حتى الآن فريقنا "نوتردام".

قال لـ"كاترين" .

- هذا حسن .. اليس كذلك يا "كاترين"؟

اخذت تتميز غيظا . إن امها تتطوح . ووالدها يظن "ديفيد" من المدمنين ولا بد ان عصابة نهبت اللحم المشوي في الفرن .. إنها كارثة ..

قال "ديفيد":

- ونحن لم نتعش بعد.

بدا وكان رفيقها يقرأ افكارها .

قالت:

- وفي يوم ما عندما نتذكر هذه الليلة . سنتذكر اننا وجدناها ليلة غريبة وشاذة لأقصى حد .

- لقد نادتني امك بـ "ياعزيزي"!

استانانت "اليزا" في الانصراف في التاسعة. تبعها ال"فين" بعد نصف ساعة . وقد اوصلاها حتى عتبة الباب.

قال "ديفيد":

- الحمد لله فقد مر الأمر بسلام.

اسندت راسها على كتف "ديفيد" وهي تتنهد :

- ليس هناك ابدع من هذا وابي اعلن : انني لو تزوجتك فإنه سيتبرا مني . واول مرة ارى امي في غير حالتها الطبيعية.

- إنها لم تكن في الحقيقة ثملة ، وإنما منتفخة قليلا.

- هل رايت .. لقد نقعت الخبز في الحساء والتقطته باصابعها !

- وعندما وضعت الزيد على اصابعها .لقد كانت لذيذة .

عادا إلى البيت وقد احاطها "ديفيد" بذراعه عندما اغلقا الباب خلفهما همس في اذنها:

- هل يمكن ان تكرري علي ما قلته لي في المطبخ من قليل.

ردت عليه بصوت حالم.

- انا احبك .. احبك!

***

عندما استيقظت "كاترين" من نومها يوم الاحد وقعت عيناها - اول ما وقعت - على "ديفيد" النائم على الاريكة في نفس الحجرة.. إنه حبها .. وهي تعرف ذلك الآن ... ووالداها ايضا يعرفان. إذن ماذا تفعل ؟ من سنوات ماضية كان الامر سيبدا من المصدر : ان تعيش معه وتتزوجه ثم تطلق منه إذا لم يسر الامر سيرا حسنا بينهما ولكن السن غيرتها كثيرا إنها اليوم لا تريد ان تعيش مع رجل خارج الزواج: لانه امر لا يدل على الشعور بالمسؤولية وكانه رفض للارتباط . ومع ذلك خطربباتها فجاة انها تعيش مع "ديفيد" تحت سقف واحد اربعة ايام كاملة. اما بالنسبة للزواج فبعد ان اقسمت من وقت طويل الاتعاود الزواج اصبحت "كاترين" الان غير واثقة بوفائها بقسمها . وعلى العكس لو حدث الزواج يجب ان يستمر وان يكون اختيارها بمنتهى الحرص وللاسف ينقص "ديفيد" صفات عديدة كانت تامل ان تجدها في زوج المستقبل صاحت

- اللعنة!

قال الرجل بصوت يشوبه النعاس :

- هل هناك مشكلة؟

تنهدت وفتح هو إحدى عينيه ثم تاملها:

- ما هذه الزفرة الحارة ؟ هل لازلت تفكرين فيما حدث لامك امس ؟ لاتقلقي فإنها لن تتذكر حتى إنها سقطت من فوق مقعدها.

- يجب ان نتحدث .

- موافق.

احتجت عندما احست الخفة في لهجته:

- إنه حديث جاد.

- اعرف .. إنني جائع.

- إذن يجب ان يتم الحديث على المائدة ونحن نفطر.

- هذا غير مالوف ولكن سأتبعك إذا كان هذا ما تريدين .

ضبطت الشابة ساقها الملفوفة بالجبس. وهبطت في حرص من فوق السرير ، ثم قالت :

- سانزل لإعداد القهوة.

نظر "ديفيد" نظرة غيظ إلى الساعة . إنها السادسة والربع . لماذا تستيقظ دائما في ساعات مستحيلة؟

- سالحق بك في الحال ..

فتح إحدى عينيه مرة ثانية بعد ذلك بثلاث ساعات ، وعرف ان ذلك قال سيئ بالنسبة له .

ارتدى ملابسه بسرعة وهو ياخذ اي شيء يقع في يده ثم نهب درجات السلم نهبا ، لم يجد عكازيها هناك ، ولا "الفيولونسيل" لقد رحلت نور حياته . اسرع إلى منزلها . قال لها وهي تفتح الباب:

- صباح الخير . إننا نسكن هنا الآن

اخذت تنظر إليه من الراس إلى القدم بالتفصيل.

بدا غير مهندم حيث لم يمشط شعره ورباط الحذاء مفكوك وبدا واضحا انه خرج لتوه من السرير .. إنه حبوب ولكنه صورة مجسدة للتشرد في حين هي قد اخذت دشا وعزفت على "الفيولونسيل" مدة ساعتين واتصلت تليفونيا بمعظم تلاميذها

هزت راسها وسالته :

- كيف يمكن ان تفسد صباحا رائعا كهذا ؟

- لست من رجال الصباح .. لماذا رحلت ؟

لماذا ؟ لانها لن تتحمل ان تجده وقد دس راسه في الوسائد وهي تقوم بكل هذا النشاط في الدور الأرضي . إنه امر غبي ويجعل اعصابها مشدودة

- هذا لايمكن ان يفلح

- ماذا ؟ ولماذا ؟

- إننا ببساطة مختلفان

- اه ها !

- إنني في حاجة إلى رجل تقليدي .

- انا هذا الرجل التقليدي . وارتدي قمصانا بيضاء كاملة عندما اخرج إلى المطعم واسكن في منزل .

- ليس عندك عمل

- لست محتاجا للعمل فإني غني .

نظرت الشابة إلى قدميه وقالت :

- انا لا استطيع ان اعيش مع هذا !

- وهل تحملين شيئا ضد النقود .

- لا ولكني لا استطيع ان اعيش مع شخص فاسد ، إنني امراة لها هدف . واحب ان يكون الرجل الذي ساتزوجه لديه هدف مماثل ، وعلى

نفس المستوى .

رد "ديفيد" وهو يتبعها إلى المطبخ:

- انا هذا الرجل

- إن العلاقات العاطفية فقط لاتكفي .

- وما الخطا في هذا ؟

- "ديفيد" ! ليس عندك شيء بالمرة .. انت تلعب كالطفل طوال النهار . وتقرا المجلات المصورة فحسب .

- كوني احب لعب الاطفال والمجلات المصورة لا يعني انني لا اهتم بشيء اخر . انا اقرا الصحيفة والروايات العاطفية واقرا ما هو مكتوب على العلب المحفوظة .

اخرج من الثلاجة علبة عصير برتقال وافرغها في كوب ثم شربها دفعة واحدة.

انت تقللين من قدري وتريدني غير جدير بك

- حسنا . انت تقرا اغلفة العلب المحفوظة وماذا ايضا؟

- واقوم برسم المجلات المصورة.

- إنني اتحدث عن وظائف حقيقية.

- الرسم وظيفة حقيقية.

- إننا لا نتقدم قيد انملة. إن شخصيتينا متباعدتان جدا وكاننا في كوكبين مختلفين.

- لست افهم لماذا تصدعين راسك بمسالة العمل هذه إلى هذه الدرجة لو انك تحبينني فإن طريقة حصولي على لقمة العيش لن تشكل اختلافا.

- إنه مهم جدا ! لانني احبك . إنني لا استطيع ان اخرب حياتك بعلاقة مزيفة من بدايتها

- ولكن الا تعتقدين ان الوقت متاخر على قول ذلك ؟ الا تفهمين ان

حياتي لا شيء بدونك.

كزت الشابة على اسنانها ومسحت الدموع التي تلألأت في عينيها وقلبها يغلي من الغيظ.

اصبحت غير قادرة على الاستمرار في الحديث فاستانفت تدريبها على المتتابعة الخامسة لـ"باخ".

لم تستطع ان تركز على لوحة النوتة الموسيقية، ولكن العلامات كانت تتراقص امام عينيها. وعندما رفعتها لتنظر إليه كان قد اختفى.

***

خرجت "كاترين" من سيارة الأجرة وهي تفكر. وضعت عكازيها تحت إبطيها، ونظرت في غضب إلى "الفيولونسيل" الملقى على الرصيف. كيف ستتمكن من حمل ذلك الوحش إلى داخل منزلها؟ من الواضح ان السائق لا يعرف الإنجليزية و"اليزا" لابد انها منهمكة في لعب الورق، و"ديفيد"! لم يبق إلا هو. يالها من ورطة! ضربت صندوق القمامة بعكازها فاختل توازنها وسقطت وسط التراب على ظهرها. صاحت:

- يا "ديفيد"! يا "ديفيد دود".

بعد لحظات من النداء الثاني جاء المقصود ليقف امام الشابة وهو يرتدي ثوبه القطيفة الطويل الأسود وغطاء مطرزا للراس والكتفين. كانت تتاوه من كل جسمها امام كشاف البطارية. سالها:

- لماذا انت مستلقية بجوار الرصيف؟

- لقد وقعت.

- افترض انك تعتمدين علي لأرفعك.

قالت وهي تكز على اسنانها:

- سيكون هذا لطيفا منك.

- لم تمر لحظات منذ رايتك آخر مرة.

هل ستساعدني ام لا؟

قال وهو يتراقص على قدميه:

- لست ادري إن كان علي ان افعل ام لا؟.. لقد طردتني من وجودك.

- الم يقل لك احد ابدا: إنك دنيء؟

اضاءت ابتسامة وجه "ديفيد" واعتقدت هي ان قلبها سيتوقف. يا إلهي! كم هي تحبه؟ لماذا تركت نفسها تنقاد في هذا الطريق الخاطئ؟

ساعدها على النهوض وسالها:

- هل كان لديك حفل الليلة؟

- عادة نعم.

- لماذا إذن رجعت؟ إنها لاتزال التاسعة؟

ردت عليه بحدة وهي تعرج متجهة إلى منزلها:

- لااريد الحديث في هذا.

امسك هو بالعكازين والـ"فيولونسيل" وتبعها. ذهب ليفتح الباب بعد ان حملها وصعد الدرج الامامي

نظر حوله في الداخل وهو مدهوش

- إن لديك اثاثا؟

- إن السيدة صاحبة وكالة العقارات اعلمتني ان البيت سيرتفع ثمنه هكذا. ثم إن تلاميذي ياتون الآن إلى منزلي لتلقي دروسهم، ويجب ان تجد امهاتهم مكانا يجلسن عليه

- يبدو انك بدات تنظمين حياتك.

- إن المصائب دائما ما تترك اشياء مفيدة مثلا لما كنت لا استطيع القيادة فقد نظمت الأمر بحيث اعطي الدروس هنا، وكان علي ان افكر في هذا من وقت طويل وكان ذلك سيجنبني الكثير من المشاق.

ساد بينهما صمت مشحون. توقعت الشابة انه لن يخطو الخطوة الاولى، وسينتظر ان تاتي منها وهو على حق إذا كانت تريد استعادة صداقته: لانه لن تقوم بينهما سوى الصداقة وهو امر منطقي.

- هل تريد قهوة ؟ لقد اشتريت إبريقا كهربائيا .

- بكل سرور.

راها "ديفيد" تتحرك في المطبخ في خطوات عرجاء وتصور أصابع قدميها وهي بارزة من الجبس .

لاشك أن ظهورها في "مركز كنيدي العلمي" اثار الانتباه .

قالت وهي تصب إلماء في الإبريق :

-اتتصور انني صنعت ايضا خليطا من البن من توليفة خاصة؟

- لا . لا ! إذا استمر الحال على هذا المنوال فستتمكنين من إتقان أعمال المطبخ .

ولم لا ؟ مادام هذا سيشغل اليدين ؟

- لانك لديك ما يشغل يديك طوال الوقت .

- إنهم منحوني ستة اسابيع إجازة مرضية إلى أن ارفع الجبس.

- وهل لهذه الإجازة صلة بمزاجك الرائع؟

هزت "كاترين" كتفيها . من الأفضل ان تقول له : إن الأمر سينتهي بان يسحبها من أنفها إن عاجلا او اجلا .

قالت

- أن الأمور لم تمر بالسهولة المتوقعة .

- ولماذا ؟

- لقد اثرت عداء كل الآلات التي تنسجم معي .

- انت لا تستعملين الآلات النحاسية ؟

- في الحقيقة أستطيع لو اتيحت لي فرصة التمرين .

- هل يحل محلك احد ؟

- لا على الإطلاق .. إنني هي الحقيقة العازفة الوحيدة .

- هل لديك بعض الأخبار المحزنة لي ؟

اخرجت الشابة لفافة فطير من الدولاب ، وجلست أمام المائدة في

مواجهة "ديفيد" وقالت :

- كنا نستعد للجلوس كل في مكانه عندما دست بعقب قدمي المغطاة بالجبس على قدم عازف الكونترباس . أطلق سبابا رهيبا وسحب قدمه من تحت قدمي ولكن في الوقت الذي فعل ذلك كان عقبه قد ثورم ثلاثة اضعاف حجمه . باختصار فقدت توازني وامسكت به من ذراعه . ولكني لم اقبض إلا على كمه الذي تمزق وظل في يدي ، ثم سقطت وراسي في المقدمة في قسم الوتريات امام قاعة مزدحمة عن اخرها .

والأفظع أن صفا كاملا من حوامل النوتات انهارکصف من قطع "الدومينو" - بالأوراق التي تطايرت في كل اتجاه . وتطلب الأمر نصف ساعة لإعادة النظام .

اوشك "ديفيد" ان يختنق من الضحك . اكملت :

- وإذا كانوا قد اعطوني ثلاثة اسابيع ليتخلصوا مني فإن المنظر المثير حقا هو منظر الطبيب فوق المسرح وهو يفحص قدم عازف "الكونترباس" وكل الموسيقيين منحنون كي يجمعوا النوتات والحوامل والأوراق المبعثرة . ثم إنني ضربت بقوس العزف - دون قصد - في عازف الكلارينيت الأول وبدا أن الجمهور كان يبكي من الضحك

- حسنا .. هذا يحدث كثيرا لكل الناس.

قالت في امل :

- هل تظن ذلك؟

- وبعد ذلك ماذا حدث؟

- صحبني قائد الأوركسترا إلى خلف المسرح وطلب لي سيارة أجرة بنفسه. يجب ان اشكر هذا المسكين فقد كان لطيفا معي جدا رغم ما حدث .وهكذا انا إذن في إجازة ولست متاكدة مما يمكن ان افعله طوال هذه المدة.

حاولت ان تبتسم . ولكنها لم تفلح . وضعت يديها اثناء الحديث فوق

المائدة فغطاهما "ديفيد" بيديه ، وضغط عليهما برقة ، ثم قال بابتسامة :

- ستجدين انك يمكن ان تتمرني اكثر على الفيولونسيل ولن يمنعك شيء من الذهاب - من وقت لآخر - وسط الجمهور ؛ ليكون لك زاوية جديدة للرؤية وتستطيعين الذهاب كل مساء للعب الورق مع "اليزا" .

كانت القهوة معدة ، ولكن "كاترين" لم تشعر برغبة في التحرك من مكانها . إنها في راحة ودفء ويشيع "ديفيد" حولها كل ما يجعلها سعيدة .

ربما لم يكن المرشح المثالي للزواج بها ، ولكنه من ناحية اخرى احسن صديق يمكنها العثور عليه.

قالت :

- إن "لعب الورق" فكرة جيدة وساقوم بإنشاء وكر يلجا إليه العصافير وسط شجرة الحور .

- هذا هو ما يسمى قرارا.

- يجب ان استفيد من هذه الإجازة اكبر استفادة .

وافقها في صمت وتوقع هو الآخر ان يستفيدمن هذه الإجازة غير المتوقعة. اخذ قلبه يدق وقال في نفسه: لن تهربي مني ابداً " ياكاترين فين"

الفصل التاسع

تاملت "اليزا كاترين" ثم هزت راسها:

- انا غاضبة . لقد مرت عليك ثلاثة ايام من الإجازة وهانت في طريقك إلى البدانة

تنهدت الشابة ، وردت:

- ليس هذا صحيحا ثم : ما الذي جعلك تقولين هذا ؟ إن الملابس الكثيفة والثقيلة التي ارتديها لا تسمح لأحد ان يعرف إن كنت بدينة أم نحيفة

- إن ذقنك تضخم.

- إنه بسبب الماء المحبوس .

- وهل ينحبس الماء مع كل الملح الذي يوجد في رقائق البطاطس التي تلتهمينها؟

ضغطت "كاترين" على ذقنها بالسبابة . لا، إنها ليست سمينة و"اليزا" تبالغ . ثم ماذا لو انها اكلت بعض رقائق البطاطس المقلية؟

www.elromancia.com

- ثم هذه الألعاب التليفزيونية التي تراقبينها طوال الوقت . الأمر الذي سيجعلها تفسد روحك. اليس عندك ما تفعلينه افضل من ذلك ؟ لماذا لاتعزفين على الفيولونسيل ؟ انظري إليه. إنه مغطى بالغبار.

- لقد عزفت هذا الصباح مدة ساعتين.

- نعم سمعتك . ولكنها ليست الحانا جادة على الإطلاق . ذهبت الشابة لتقف امام النافذة . وسالت:

- الم تلاحظي يا "اليزا" انه لايوجد اطفال في هذا الحي ؟

- طبعا لاحظت .. إنه يشبه دار المسنين غير انه جنة والدار جهنم.

- في رأيك ماذا يحدث لو حضرت امراة ما وهي حامل في هذا الحي؟ اتعتقدين أن الجميع هنا سيرفع دعوى ضدها حتى تجهض نفسها او ترحل ؟

- هذا لن يحدث ابدا . ليس لدى السكان هنا الوقت الكافي للحمل : فالجميع منهمك تماما في جمع المال واكل النباتات الصناعية.

- عدا "ديفيد".

- "ديفيد" لا يمكن ان يحمل .

- هو لا . اما انا فنعم .

- ولكنكما لستما متزوجين .

- عندك حق . ونحن لم نلتق من مدة .

فتشت "كاترين" في جيبها واخرجت اصبع شوكولاتة ازالت غلافه ببطء . حط سنجاب على وكر العصافير الذي وضعته وسط شجرة الحور واخذ يلتهم الحبوب.

قالت العجوز

- كيف لم تلتقيا من مدة وقد صحبك امس للعشاء ؟

- نعم ولكني لم اقابله بالمعنى المفهوم.

- ومذا تقصدين بعدم اللقاء بالمعنى المفهوم؟

- لقد قررت انه من الأفضل ان نظل اصدقاء فقط إن شخصيتينا لا تتوافقان. إنه لا يعمل شيئا سوى الجلوس في المنزل طوال النهار

- لدي إحساس انك انت التي تتسكعين دون عمل .

- نعم ، ولكني في إجازة.

اغلقت "اليزا" ازرار المعطف ، ووضعت حقيبة يدها الشهيرة تحت إبطها ، ثم قالت :

- ربما هو ايضا في إجازة .

- من شهرين ؟

- ولم لا ؟ اعتقد انه يحاول ان ينظم حياته .

فكرت الشابة ان حياتها هي المنظمة ، ولكن هناك شيئا ما حدث قلب نظامها راسا على عقب ، واحست انها غير قادرة على ترتيب عناصر وجودها ، اما وجودها الداخلي فبدا انه يزداد سوءا يوما بعد يوم ، وبدات روحها تشرد ويخترق عقلها افكارغريبة وشطحات شاذة: كان تسال نفسها: اي لون تختاره لستائر الصالون؟ وتذكرت المكرونة الشريطية التي التهمتها يوم الخميس الماضي في تلذذ . لقد بلغت الثامنة والعشرين من عمرها ولم تمارس التزحلق حتى الآن ، وهذا الصباح اثناء ممارسة "كاترين" تمرينات الفيولونسيل تخيلت ان الجبس الذي يحيط بساقها هو عاقبة سقوطها من فوق التلال المكسوة بالجليد، وهذه الأحلام استمرت للأسف نصف ساعة.

- ما الذي حدث لي يا "اليزا" ؟ لقد اصبحت رخوة .

- لست ادري ، ولكن يجب ان اذهب فانا ضمن فريق الصباح وبعد الظهر اليوم : لأن الجميع مصاب بالإنفلونزا . ثم إن لدي موعدا

- موعدا ؟

- نعم مع رجل طيب وليس من ذلك النوع العجوز الابله المتزمت ولا يبدو عليه سن الستين وهو يسلمنا فطائر الكرواسان في الصباح

- إذن هو موعد رومانسي .

عندما اختفى خيال المراة العجوز عن نظرها اصبح الطريق صامتا تماما

كان السنجاب قد رحل بعد ان التهم كل الحبوب كان ذلك يوم السبت

بعد الظهر والجو بارد جدا لا يشجع بالسير في الفناء. كما لم يحاول اي عابر ان يبطئ من خطواته ولم يعد هناك ما يستحق المشاهدة اطفال الشابة التليفزيون واحست بان الصمت والسكون يقعان على كتفيها.

بدات فكرة تنمو في عقلها . لماذا لاتربي حيوانا اليفا يصاحبها؟ ليس كلبا: لانه يجب تمشيته . ثم إن هذه الحيوانات تهاجم احيانا الفيولونسيل كما سمعت . ولم يبق سوى القطط والاسماك الحمراء . اسندت جبهتها على الزجاج البارد .. نعم ولكن ماذا حدث لها ؟ حيوان! يالها من فكرة حمقاء !

ظهر "ديفيد" على الرصيف ولوح لها بيده . كانت رؤيتها له قد ادفات قلبها في الحال .

صعد الدرجات الامامية ثم دخل ليقابلها في الصالون .

- كيف الحال ؟

- لدي نية ان اتبنى قطة

ظل يصف دقيقة كاملة بلا صوت ثم قال وابتسامة واسعة ترتسم على شفتيه

- قطة ؟ ياله من شرف!

- لست ادري لقد جاءت الفكرة عفو الخاطر. فكرة معتوهة بعض الشيء اليس كذلك ؟

- بالعكس فهي فكرة ممتازة.

- في الحقيقة لست متاكدة

- ما رايك ان نذهب لرؤية قطيطات بعد الظهر؟

حوالي التاسعة والنصف مساء . عادت "كاترين" و"ديفيد" إلى منزلها وهما يثنان من حمولة الاكياس والصناديق وتبرز منها سلة قطط

القت الشابة بنفسها فوق الاريكة الجديدة. ووضعت ساقها المصابة فوق المائدة المنخفضة

- هذه اخر مرة اخرج معك للشراء . إن لك تاثيرا شديدا علي فقد

جعلتني اصرف مبلغا طائلا.

- إنك لم تدفعي شيئا فقد اشتريت كل شيء بالتقسيط

- وهذا هو الاسوا وستمر سنوات حتى اسددها .

- ولكن تذكري اننا سنتزوج ولن تحسي بالقلق؛ لانني رجل غني.

اسندت راسها للخلف واغمضت عينيها:

- اتقول هذا لتضحكني !

اخرج "ديفيد" القطيطة الوحيدة وسلتها ثم وضعها على ركبتيها وهو يقول:

- ليس الامر مضحكا بالنسبة لي .

- ليس بيننا اي شيء مشترك يا "ديفيد" .

- الا نتبادل الحب ..؟هذه هي الحقيقة فلا تنكريها. ثم إننا نعشق قراءة المجلات المصورة معا ونشرب عصير البرتقال وخلقنا لبعضنا بعضا. الا ترين هذا ؟

- فعلا كل هذا صحيح.

- إذن اين هي المشكلة ؟

- لقد تجاهلت اختلافاتنا .

- ليس هناك ما يصعب التغلب عليه

وضعت الشابة القطيطة على الارض ونهضت

- إنك لاتدرك شيئا . انت لم تتزوج من قبل . ولم تتعرض للطلاق ولم تعرف كل تلك المشاكل الصغيرة التي ليست سوى تفاصيل الحياة الزوجية والتي تنتهي بتسميم حياة المرء عندما يتزوج . اما بالنسبة للمشاكل الكبرى مثل تضارب وجهات النظر حول الحياة فإنها تصبح ساحقة .

- ليست هناك علاقة كاملة . ويجب دائما موازنة فرص النجاح قبل اتخاذ القرار..

- لقد قلتها بنفسك وفرصنا دون شك ضئيلة.

بدا الغضب يغلي داخله . لقد انتظر طويلا حتى يقع في الحب وإذا

www.elmandiga.com

به يقع في حب فتاة حمراء الشعر عنيدة كالصخر!

- انت لا تفكرين إلا في حياتك مع "اناتول" . ولست قادرة حتى على رؤية ما بيننا !

انفتح باب المدخل وتسمرت "اليزا" على العتبة بينما وقف رجل كبير السن وراءها . قالت :

- ياإلهي ! لقد سمعنا كما تتصايحان ونحن فوق الرصيف . اليس عندكما افضل من ذلك لتفعلاه ؟

ادى وصول العجوز وتابعها إلى استرخاء "ديفيد" .

- بلى ! ولكننا نفكر في فعله فيما بعد وفضلنا ان نتصايح هنا اولا قبل الصعود للدور الاول .

- اوه ! لقد طمانتني .. هيا هذا هو "جيل" إنه سيصحبني للرقص ؛ لذا حضرت لتغيير الحذاء .

تصافح الرجلان وقال "جيل" :

- إن لك منزلا جميلا جدا .

قال "ديفيد" وهو يشير إلى "كاترين" :

- إنه ليس منزلي وإنما منزلها هي . انا اسكن بجوارها .

- هذا بيت جميل يا سيدتي !

سالته "كاترين" وهي تلقي عليه نظرة فاحصة :

- إذن ستصحب "اليزا" للرقص .

- بالضبط .

- ارجو الا تعودا متاخرين .. خبراني !

- اوه .. لست ادري .

- "اليزا" في فريق العمل الصباحي كما تعلم . وعملها يبدا مبكرا جدا .

دارت عينا "ديفيد" في محجريهما وهو منذهل مما تقوله الشابة فامسك بذراعها وسالها :

- هل يمكنني ان اراك لحظات في المطبخ؟

- انتظر فلدي اسئلة اخرى اود طرحها على "جيل" .

رد وهو يسحبها من وسطها ويضعها تحت ذراعه ثم يجرها نحو المطبخ وهو يقول :

- لا .. الآن .

اغلق باب المطبخ عليهما ثم ساعدها على الاعتدال .

صاحت :

- ما الذي حدث لك ؟ لقد جعلتني ابدو بلهاء .

- هذا الرجل المسكين لم يفعل شيئا بك وليس هناك ما يدعوك لان تحتدي عليه هكذا . لم يكن ينقص سوى ان تساليه عن رقم شاسيه سيارته . لقد تماديت .. اليس كذلك؟

- إنه اول موعد بينهما و ورغم ذلك يصحبها للرقص .. إنني اعرف هذا النوع .

- اه .. نعم ؟ حددي كلامك من فضلك .

- إنه يسلم فطائر الكرواسان .

وضع "ديفيد" راحة يده على جبينها :

- ياإلهي ! لابد انك مريضة .

- هل تعتبر ان رد فعلي كان مغاليا؟

- إنه بالضبط شك في سلوكه .

- لقد كنت اميل إلى ذلك قليلا .. اليس كذلك ؟

رد عليها وهو لايزال دهشا :

- يالك من امراة حارة الدم؟

بدات تتململ فسالها :

- لماذا تضحكين ؟

- لاننا نتصرف تصرف العاشقين وليس الاصدقاء

- ولكني لم اقل ابدا : إنني موافق

طرق "جيل" باب المطبخ . وقال

- سنرحل وانا سعيد بمعرفتكما .

قالت "كاترين" وهي تمد راسها من فتحة الباب :

- وانا سعيدة جدا بلقائك .. تمتعا جيدا

- هناك شاب جاء للقائك وهو منتظر في الصالون .

فتحت "كاترين" الباب على مصراعيه ، ثم قالت ببطء:

- يا إلهي العظيم!

نظر "ديفيد" من فوق كتفها. ثم همس :

- من هذا ؟ إنه يبدو كانه تمثال من الشمع.

- إنه "اناتول"

- هل يتحرك؟

قالت الشابة وهي تلكزه في جانبه بكوعها

- طبعا وكل ما هناك ان بشرته شاحبة .

- لقد رايت جثثا محنطة بها صحة اكثر منه

- إنك لن تخلق معركة . قل لي ...

- لم تخطر ببالي هذه الفكرة .

كان "اناتول" اكثر حيوية عند رؤيته عن قرب ، وكانت بشرته سليمة جدا وتفاطيعه مرسومة جيدا . لقد كانت مقاييسه - حسب مواصفات مجوم هوليود- عينين زرقاوين وشعرا اشقر في تسريحة رائعة واظافر لاعيب فيها ابداووجها لا تعبير عليه على الإطلاق . عندما راى "كاترين" نهض في حركة رسمية ، ثم اطلق كلمات مجاملة محفوظة وغير مفهومة تجاهل تماما "ديفيد" . الذي تناول يده وهزها بعنف وهو يقول له

- انا "ديفيد دود" سعدت بلقائك اخيرا! لقد حدثتني "كاترين" كثيرا عنك

رفع "اناتول" حاجبيه قليلا ثم خفض عينيه نحو يده التي ظلت في يد "ديفيد" والذي اخذ يضغط عليها بقوة تعبيرا عن الادب

رد "اناتول"

- "ديفيد دود" ياله من اسم عتيق.

نظر "ديفيد" في عينيه مباشرة :

- هذا ما تظنه "كاترين" والتي سيصبح اسمها قريبا "كاتي دود" .. ما رايك في هذا ؟

قال "اناتول" وهو يدلك رسغه بينما تصاعدت الحمرة في وجهه :

- يمكن القول : إنه مثل زقزقة العصافير .

كز "ديفيد" على اسنانه واوشكت اعصاب الرجلين ان تنفجر . اصبح "اناتول" بلون القرميد الاحمر واخذ شريان في جبهته ينبض وفجاة داست قدم "ديفيد" بالمصادفة الحذاء "الإيطالي" الفاخر والرقيق للموسيقار.

صاحت "كاترين" غاضبة:

- توقفا .. إنكما تتصرفان ببشاعة.

سحب زوج "كاترين" السابق يده من يد "ديفيد" ثم نظر وهو فاغر فمه إلى الحذاء المشوه . وقال :

- لقد تعمد ان يطا حذائي !

قال مرتكب الجريمة :

- إنها حادثة غير مقصودة.

- هذا غير صحيح .. لقد فعلتها عن عمد .

دفعت الشابة "ديفيد" ، ثم واجهت "اناتول"

- هل تريد مقابلتي لسبب معقول ؟

انحنى الرجل ليمسك بيد سلة فواكه ضخمة ملفوفة بالسوليفان البرتقالي ومزينة بعقدة كبيرة بلون وردي

- لقد انتدبت لاقدم لك هذه السلة التقليدية للشفاء ، واستطيع ان اقول لك : إن "رالف" سيتمكن حالا من ارتداء فردة حذائه اليمنى . وان الجميع مشتاقون إليك.

طبع قبلة رقيقة على خدها .. ياللمسكينة "كاترين"!

اخذ "ديفيد" نفساً عميقاً وحاول التركيز على سلة الفاكهة.

إن التفكير في انها يوما ما كانت متزوجة بهذا الشخص غريب

جعله يحس بتقلص معدته .. إنه شيء مقزز .

راى "اناتول" شيئا يتحرك في قاعة الطعام .

- ارجوك الا تجزعي يا "كاترين" هناك شيء ما يجري في اخر القاعة شيء صغير واسود .

- إنها قطتي .

بدا من الرعب الذي تملك الرجل انها كما لو قالت "إنه فاري الصغير" خفض عينيه فحو بطن الشابة وقال :

- على ما ارى انت حامل .. اعلم دائما انك كنت ترغبين في الأطفال ولكن كان من الواجب عليك أن تتأكدي من الأب . صحيح ان العائلات المكونة من اب او ام فقط اصبحت موضة هذه الأيام

-لست حاملا .. إنه انحباس الماء .

نظر إلى بطنها وزفر في اسف . في الحقيقة كان السبب هو الشوكولاتة والأيس كريم وليس الماء .

الفت نظرة على "ديفيد" ولاحظت على وجهه نظرة استغراب خفية قال لها "ديفيد" :

- لقد كنت لجهل انك تريدين اطفالا

- لقد مرت علي فترة ولكنها قصيرة لقد تصورت بغباء انني استطيع ان اقوم في وقت واحد بمهنتي (عازفة واما) وتصوري انا التي تجد صعوبة في العثور على حذائها في الصباح .

هناك نساء كتب عليهن القدر الا يصبحن امهات وانا منهن

قال "ديفيد"

- ليست هناك مشكلة . يمكنك ان تصبحي الاب وانا اصبح الأم.

علق "اناتول"

- إنه غريب وشاذ ارجو الا يكون خطرا .

ردت عليه "كاترين" وهي تبتسم :

احيانا

ما إن انتهت "كاترين" من عبارتها حتى اهتز البيت بسلسلة من الانفجارات اخذ الزجاج يهتز بشدة واضاء الشارع بلهب برتقالي يدل على حدوث حريق . سارع "ديفيد" إلى الشارع

- إنه بيت مهربي المخدرات!

انبعثت السنة اللهب من النوافذ في المبنى المحترق وتصاعد دخان من السقف وغطى الحي بسحابة سوداء . وانطلق سكان المنازل المجاورة إلى الشارع بينما نفير سيارات الشرطة والإسعاف والمطافئ انطلقت كالرعد . لم تظهر اي علامة للحياة داخل الجدران المحترقة ولكن مجرد فكرة وجود احد هناك كانت تصيب الشابة بالقشعريرة .

نهبت درجات العتبة وظلت في مكانها بلا حركة ومشدوهة من المنظر هبت الحرارة المنبعثة من الحريق على وجهها وكانت تسمع صوت تشقق وتفتت الخشب المثير للرعب .

فجاة ظهر رجل من الظلام عند فتحة باب القبو ، واصطدم بها بكل قوته فسقطا سويا فوق الرصيف متشابكي الاذرع والسيقان خلص الرجل نفسه وهو يسب ثم نهض واقفا . وصلت سيارة شرطة إلى المكان وشاحنة حريق وقفت خلفها ، وتسمر الغريب امام ضوء الكشافات. لم يكن من جيرانها ولكن احست بانها سبق ان راته من قبل.. في مطبخ "ديفيد" ! إنه الرجل الذي يحمل المطواة ! كان خوفها رهيبا .

اخذ الرجل يتامل نهاية الشارع ليكتشف مزيدا من السيارات من شرطة وحريق وليس هناك اي مخرج للهرب . اخرج مسدسا من سترته ووضع فوهته في جانب "كاترين" . امرها وهو ممسك بذراعها:

- انهضي ! هيا !

احست بالغثيان من لمس يده الرطبة ورائحةالعرق المنبعثة منه . بينما توغلت فوهة المسدس في لحمها . حاولت ان تنهض واستحال عليها ذلك بسبب الجبس الثقيل .

صاح وهو يرفعها بصعوبة على قدمها ويلتصق بها :

- ما هذا الحظ التعس ان يقع حظي مع كسيحة لاستخدمها رهينة على كل، هذا سيمنعهم من الاقتراب مني .

قالت "كاترين" :

- ليست هذه فكرة جيدة : فإنني لا استطيع السير

- لست في حاجة إلى السير فسنستقل سيارة... تلك الواقفة صفا

ثانيا وبداخلها المفاتيح.

فغر "اناتول" فمه عندما راى الاتجاه الذي اتخذاه وهمس في اذن "ديفيد".

- إنها سيارتي .. افعل شيئا .

- كي اشرح لك الوضع فإنني لا استطيع ان افعل لك شيئا .

أمرها الرجل:

- اصعدي إلى السيارة .

- إن جبيرة الجبس لن تسمح لي بالدخول .

- يجب أن تفعلي .. بالجائزة السماء !

حرك المقعد المجاور للسائق للخلف إلى اقصى درجة . ثم حشرها فوقه . نظرت من خلف كتفها .

- نحن محاصران بسيارات الشرطة .

اطلق النار في الهواء من فتحة السقف في السيارة ثم ضغط على النفير ثم مال على رهينته .

- هل حدث لك ان سار كل شيء بالمقلوب في يوم ما ؟

وهل سبق لك ان فجرت منزلا بطريق الخطا ؟ كل ما اريده هو ان استعيد بعض ماديتي كي اصنع بعض العقاقير المخدرة .

- لقد ظننت انهم اعتقلوك في ذلك اليوم؟

- لقد منحوني إفراجا مؤقتا . اللعنة ! لان الحكم لن يصدر إلا بعد شهور . كيف تصوروا انني ساعيش إلى ان يصدر الحكم ؟ إن امامي محامين لابد من دفع اتعابهم وشراء ذمم القضاة والمحلفين . لقد صادروا كل المادة او بمعنى اخر إنهم حرموني من اكل عيشي ومن ربحي .

تفهقرت سيارات الشرطة وادار الرجل المحرك . امسكت "كاترين" حافة التابلوه بيدها .

- اين سنذهب ؟

- هذا ما لا اعلمه ؟ سنظل نسير إلى ان ينفد الوقود.

دار الرجل حول إحدى سيارات الشرطة واصبح الطريق امامهما خاليا . خرجت سيارة عتيقة من احد الأركان في مواجهة سيارتهما

وهي منطلقة في جنون واصطدمت بهما . ضغط السائقان الفرامل جاء الاصطدام في الجانب واستطاع الرجل ان يفلت من الحادثة باعجوبة.

عندما تعرفت الشابة على من كان يقود السيارة الكاديلاك العتيقة وضعت يدها على فمها حتى تكتم صيحتها. إنها "اليزا"!

بينماكان السائق يناور حتى يهبط من فوق الرصيف الذي دفعتهما إليه السيارة الضخمة ، ونظرت "كاترين" من النافذة الزجاجية الخلفية في اللحظة التي كان يمسك فيها "ديفيد" اكرة باب الكاديلاك ثم يندس داخلها حيث انطلقت وصوت العجلات يصدر صريرا مزعجا . وانطلقت تطاردهما وخلفهما طابور من سيارات الشرطة . كان الوضع مرعبا ولكنه مثير للغاية . استخدمت "كاترين" كل إرادتها لتحافظ على ثبات صوتها :

- اعتقد اننا مطاردان .

- بدون لف او دوران هل هذه هي نفس العجوز الشمطاء التي تقود السيارة ؟ خبريني. انني لا احلم .

- "اليزا" ؟ هل تذكرها ؟

- وكيف انساها ؟ إنها كانت مستعدة على بعثرة مخي فوق بلاط حجرتك إنها مجنونة وطائشة لو كنت واثقا بانها ستصل إلي اولا لسلمت نفسي للشرطة افضل .

صاحت الشابة :

- إشارة حمراء .. توقف!

فرمل الرجل بشدة ثم وجه المسدس إليها وصاح :

- اترين هذا المسدس يا "اليزا" ؟ اقتربي قليلا وسانخلص من رهينتي !

نظر في المراة العاكسة وارتسم على وجهه تعبير عدم التصديق وصاح:

- ولكن لا ! ماذا تنوي ان تفعله هذه المخبولة ؟

اخذ يبحث في جنون عن مكان ليهرب منه ، ولكن دون جدوى كانت سيارته محاطة بالسيارات ، اقتربت الكاديلاك منهما ولم تبطئ من

سرعتها . دفعته الصدمة إلى الأمام مما جعل المسدس يسقط من يده .

امسكت "كاترين" بحزام الأمان وقبل ان تستطيع ان تسترد نفسها كان "ديفيد" بجوارها . اخرجها من السيارة وظل محتفظا بها بين ذراعيه في حين انشغل بعض رجال الشرطة بالرجل ذي المسدس . ثم جرى "هوارد" نحوهم .

قالت "كاترين" لـ"ديفيد":

- انا بخير ويمكنك ان تتركني .

قال لها صديقها بصوت مفعم بالعاطفة :

- لا استطيع .. إن قلبي لا يطاوعني ان اتركك.

انطلقا في ضحك عصبي وهي تقول :

- عندما اكتشفت ان "اليزا" هي التي تقود ...

شرح "ديفيد" :

- كان مع "جيل" جهاز اتصال لاسلكي وراديو حساس فالتقطا نداء الشرطة . وعادا من منتصف الطريق وكان من الواضح ان سرعته لم تكن على مزاج "اليزا" واعتقد انها لم تجلس خلف عجلة القيادة في حياتها وقد اصطدمت بكما : لان كعب حذائها اشتبك بطرف بنطلون "جيل" .

تقدمت الشابة وهي تعرج على طول الرصيف وهي لاتزال مستندة على ذراعه تحولت سيارة "اناتول" إلى شكل آلة الاوكورديون واربع سيارات شرطة كانت ملتصقة بالسيارة الكاديلاك التي لم يصبها خدش.

مسح "جيل" رفرف السيارة بكم سترته ، وقال بفخر .

- إنها موديل ممتاز

سال "هوارد" وهو يتجه نحو الشابين

- من بحق الحق كان يقود هذه السيارة ؟

اجابت "اليزا" وهي تتقدم وفمها مزموم

- انا .

هز رجل الشرطة راسه ورفعها للسماء

- يا إله السموات ! لماذا انا ؟ لماذا انا بالذات ؟

- الا تريد ان تعرف إن كان لدي رخصة قيادة ؟

- لا .. لا ... لا اريد ان اعرف على الإطلاق .

قال "ديفيد":

- انا عندي رخصة قيادة .

زمجر "هوارد" :

- لا باس حتى الآن. على اية حال ليست هذه مشكلتي .

عندما عادوا اخيرا إلى المنزل كان "اناتول" مستلقيا على الأريكة امام التليفزيون وسلة الفاكهة خلت بعض الشيء من محتوياتها.

سال وهو ينهض ليقابلهم:

- سيارتي ؟ ماذا عن سيارتي ؟

نظر "ديفيد" إلى "كاترين" وهو يبتسم :

- دعيني اعلنه بالخبر .

- لقد هلكت تماما وكان فيلا جلس عليها.

صرخ "اناتول" وقد دبت فيه الحيوية :

- إنها موديل خاص جدا ، وقد انتظرت سنة اشهر قبل ان احصل عليها.

- ومنذ متى حصلت عليها ؟

سقطت تفاحة نصف ملتهمة من يد الموسيقي

- من اسبوعين .

- اللعنة .. ياله من سوء حظ لعين .

- ولكن كيف ساتمكن من العودة ؟

تدخلت "اليزا":

- ليست هناك مشكلة فساصحبك .

بدا على "اناتول" الاستسلام التام وهو يتبعها للخارج. تبادل "ديفيد" و"كاترين" النظرات وهما ينظران إليهما من خلال نافذة الصالون، وفي الشارع استمرت عربة إطفاء في رش البيت المنكوب بالماء من وقت لآخر لتبريده بينما رائحة الدخان لازالت تنتشر في الجو في الداخل والخارج على حد سواء . ارسلت كشافات سيارة الشرطة الحمراء ومضات من النور في السماء وفوق الشارع وهي تمر بمنزلها

قال "بيفيد" للشابة :

- والآن ؟ هل انت جائعة ؟ عطشى ؟ ناعسة؟

- نعم

- إذن اقترح ان نذهب إلى بيتي فهو اكثر هدوءا .

فجاة احست الشابة بكل التعب العصبي الذي نتج عن هذين اليومين الاخيرين ولم يعد لديها رغبة في شيء سوى ان تلجا إلى بيت "بيفيد" الدافئ والآمن وان تسدل ستائره لتعزلها عن العالم كله . قالت :

- فكرة طيبة .. ساصعد فقط لإحضار غيار ملابس نظيف او غيار بن

كانت اكياس وربطات وعلب مشترياتهما لازالت مبعثرة في الدور الارضي . كان هناك صندوق ضخم لنوم القطة يعلو كومة المشتريات. فجاة تسمرت "كاترين" وهي تردد :

"القطيطة"

إنها لم ترها منذ عودتها ثم إنهما تركا باب الدخول مفتوحا وهما خارجان .. إنها متاكدة من ذلك . عندما راها تشحب تابع "بيفيد" نظراتها وتاوه :

- اوه .. لا !

دون ان يتبادلا كلمة بدا في تفتيش منتظم في كل انحاء البيت ، كانت قلة عدد الاثاث تجعل اختفاء القطيطة صعبا .

عندما فتشا كل شيء دون نتيجة، جلست الشابة اعلى الدرج وانطلقت في النحيب . لقد حدث لها خلال الاسبوعين الاخيرين حوادث مشؤومة يمكن ان تفقدها صوابها ، بل وصل بها سوء الحظ ان اخذت رهينة . ومع ذلك ظلت محتفظة بروحها المرحة ولكن إلى هنا والامر اصبح اكثر من احتمالها . ان تهمل قطيطتها كان فوق احتمالها . اما اسوا مخاوفها على نفسها فقد تضاءلت امام هذه الكارثة.

الفصل العاشر

قالت "كاترين" وهي تتاوه:

- انا امراة بلا عقل ولا استطيع ان افعل شيئا سوى الموسيقى، ومغرورة حقيقية لاتحب سوى نفسها . انا مثل "اناتول" وكان علي ان اظل معه فنحن متشابهان تماما .

- انت كل ماتكرت عدا انك بلا عقل، وانت تستغلينه بشراهة في الموسيقى ، واود ان اؤكد انك لست مثل "اناتول" على الإطلاق ، بل على العكس منه تماما ، وانت ايضا عفوية وحيوية وعاطفية بينما هو كئيب ومتصنع .

سالت الدموع على خدي "كاترين" وقالت :

- لقد فقدت قطيطتي .

- لقد اندفعنا للخارج لنرى الحريق ، ولا يمكن ان تلومي نفسك على هذا ! ثم انا الهارب والذي يقع عليه اللوم ، وكان من الواجب علي ان اتاكد من ان الباب مغلق وراءنا ولاجبن فيك

- لقد كانت قطتي وهي مسؤوليتي .

- هيا سيتم تسوية الموضوع فنحن لم ننظر بعد في الخارج . على

www.elromancia.com

اية حال فإن الجوع يدفع تلك الحيوانات إلى البحث عن طعام في الخارج .

شهقت ثم ذهبت لإحضار منديل وهي تقول:

- عندك حق فإننا لم نبحث بعد في الخارج .

توجهت إلى الباب الخارجي وهي تستند على عكازيها . جف حلق "ديفيد" وهو يرى المجهود الكبير الذي تبذله في السير . لقد كان النهار مشحونا بالإثارة ، ومن الواضح انها تعاني ساقها .

- يمكنك ان تتركيني اقوم بالبحث يا "كيت" .

- يجب ان اقوم بذلك بنفسي .

تلك العنيدة الملعونة ! اي زوجة جهنمية ينوي ان يتزوجها!

بعد فحص دقيق وطويل في الناصية على ضوء كشاف بطارية جيب كان عليهما ان يعترفا بالهزيمة . احست "كاترين" بالام شديدة في ساقها واحست بالإنهاك . لقد مرا على ثلاث مجموعات من المنازل في كل الاتجاهات دون ان يعثرا على القطيطة. إنهما حتى لم يتمكنا من إطلاق اسم عليها وهو ما زاد حزنها . لقد احضرتها إلى المنزل وسرعان ما نسيتها . والآن ها هي قد فقدت او ربما حدث لها اسوا من ذلك . لابد انها فزعت امام كل هذا العددمن سيارات الشرطة المزعجة ...

عندما اقترح عليها "ديفيد" ان تقضي الليلة في بيته وافقت بسهولة . كان كل املها ان تلقي بجسدها فوق السرير وان تنام طويلا . وعندما تستيقظ ستعود إلى موسيقاها كما كانت من قبل . إن الموسيقى هي الشيء الوحيد الذي يمكنها الاعتماد عليه ، والذي تتقنه . والبعد عنها لن يجلب لها سوى التعاسة.

قال :

- سنبحث عنها على ضوء النهار غدا صباحا .

هزت "كاترين" راسها والدموع في عينيها .

ردت :

- غدا صباحا .

استيقظت في حالة تشبه الإغماء .. لم تنم كفايتها وبكت اكثر من كفايتها .. وبدا ان ياس الليلة الماضية قد خف ولكن قلبها كان يدق

بشدة . جلست نصف جلسة وهي تطرف بعينيها في الضوء القوي الذي دخل من النافذة المفتوحة .

ظهر "ديفيد" على عتبة الباب يحمل صينية .

- صباح الخير . لقد احضرت لك فطورك.

- فطوري في السرير؟ وما سبب هذا الشرف؟

- على شرف قدمك .. لقد تورمت بسبب تقلبك الكثير .

نظرت الشابة إلى قدمها ووجدت كلامه صحيحا.

وضع الصينية فوق ركبتيها حيث وجدت عصير برتقال وعسل نحل وبيضا بالبسطرمة وقدحا كبيرا من القهوة ، وقال :

- لقد اتصلت بـ" هوارد" بالتليفون هذا الصباح . لقد انتهوا من استجواب خاطفك، والحريق تم اطفاؤه تماما وسيلبتون الواح خشب فوق النوافذ والأبواب حتى يقوم المالك بالإصلاحات .

- الم يشاهد احد قطيطتي ؟

تنهد الرجل .

- انا اسف .

نظرت إلى فطورها .

- إنه اهتمام لطيف حقا منك ، ولكني اجد نفسي عاجزة عن تناول اي طعام.

- يجب ان يكون عندك ثقة .. سنجدها .

ماذا تقول له ؟ إن الأمر لايتعلق فقط بالقطة ، إن مشكلتها الحقيقية هي "ديفيد" نفسه . إنها تحبه اكثر من حياتها واكثر من الموسيقى .

إنه دائما موجود من اجلها . إنه يشعرها بانها هشة وقوية ومرغوبة في آن واحد ، إنه يمنحها شعورا بانها ضرورية في حياته وإنه في حاجة إليها . إن علاقتهما تتجاوز الانجذاب وإنما تقوم على العاطفة والروح، وهي طبيعية وحقيقية بالتنفس بالنسبة للحياة ويزيد المها انه قريب منها ويسبب لها المأ بالغا ؛ لانها في داخلها مقتنعة بانهما لن يتزوجا . حتى ابوها اكتشف ذلك في الحال مهما كان حكمه جائرا .

إن "كاترين" و"ديفيد" لايمكن إلا ان يؤلما بعضهما بعضا . ثم إن الذي لن يفلح هو انها لاتعرف كيف تحس بشعور الأسرة . إنها تشتعل غضبا

وتنسى إعداد الوجبات وتضيع القطيطات الضعيفة التي بلا دفاع .

هي حقا لا تتمتع بنسيج الأم . يوما ما سيعثر على امرأة لايضايقها ان تتزوج رجلا غنيا يقضي كل نهاره في الكسل وسيعيشان في سعادة.

احست بالدموع تملأ عينيها ودفعت الصينية جانبا . لا .. لا يجب أن يعرف . إنها تفضل ان يظن أن حزنها بسبب ضياع القطيطة وإن كان ذلك صحيحا جزئيا . بالمخلوقة الصغيرة البريئة ! . لقد احببتها من اول نظرة كما حدث مع "بيفيد" .. ان تفقدهما مرة واحدة هذا شنيع .

همست :

- من المهم جدا ان اجدها، لقد احببتها كثيرا ولكن كيف يمكن أن يحب المرء حيوانا لم يره سوى وقت قصير ؟

قال برقة :

- هذا يحدث احيانا .

ربت كتفها في حركة تدل على تفهمه لحالتها: كان يعلم ان القطة ليست هي السبب الوحيد في المها . إن "كاترين" تمر بازمة وهي تواجه حقائق نفسها سواء كانت حقيقية أم خيالية وعليه ان ينتظر حتى تمر الأزمة

ثم هناك شيء مؤكد وهو ان "بيفيد" غير مقتنع بذلك الادعاء، بانهما غير متوافقين: لان كل شيء ينسجم بينهما او ما يشبه ذلك. لو كانا كاملي الاوصاف لاحسا بالضيق . جعلته هذه الفكرة يبتسم . على اية حال فإن الحياة مع "كاترين" لن تكون مملة على الإطلاق .

- انت قاسية جدا مع نفسك وتفكرين اكثر من اللازم . الا تتركين الأمر لغريزتك؟

- بالنسبة للقطة؟

- لا بالنسبة لنا

- ليس لدي ما اقوله عن ذلك . الا تفضل شيئا اخر ؟

- موافق . اولا عليك ان تاكلي فطورك واثناء ذلك سأقوم بجولة في الخارج لابحث عن القطة

بعد ساعة كانت "كاترين" قد استعادت نشاطها وارتدت ملابسها وهبطت السلم في حذر

عندما طرقت "اليزا" الباب . اخذ قلبها ينبض بشدة في صدرها وهي ترى قطتها السوداء الصغيرة بين ذراعي ساكنتها .

-لقد وجدتها !

ردت السيدة العجوز وهي تعطيها كرة الفرو:

- إن هذا السنيد كان تائها في الفناء .

رفعت الشابة الحيوان إلى مستوى وجهها واخذت تفحصه .

- ليست هذه قطتي يا "اليزا" . إن قطتي كانت اطراف مخالبها بيضاء.

- اوه .. كنت اظن انك لن تلاحظي ذلك.

- هل كانت حقا في الفناء؟

- لا على الإطلاق .. لقد ذهبت لشرائها .

وضعت "كاترين" القط على الأرض وراقبته وهو يتسكع في الصالون وقالت :

- كم هو محبوب .. لو وجدنا الأخرى لأصبحا صديقين . انت لطيفة يا "اليزا" لما فعلته .

- لقد اثرت شفقتي عليك .

استعادت "كاترين" ابتسامتها وسالت "اليزا":

- اتحبين بعض القهوة؟

- لا .. عندي موعد مع "جيل" ، إذ يجب أن اذهل اخته .

- يبدو لي أن الأمر جاد .

- نعم .. هذا المرة عثرت على شخص ناجح وهو يستاجر شقة من حجرتين بالقرب من هنا . إنه رائع .

قالت "كاترين" وهي تبتسم ابتسامة عريضة.

- من اي ناحية ؟

- من جميع النواحي .

- ارجو ان تأخذي حذرك يا "اليزا"!

- من الا ادعه يفلت مني ؟ في سني قد اصاب بازمة قلبية قبل ان اكتشف ما يحدث .

احست الشابة بغصة في حلقها . لماذا الزواج امر سهل بالنسبة للآخرين . صعب بالنسبة لهما ؟

بعد رحيل "اليزا" اعدت صندوق القط وصبت له سلطانية لبن ؛ وما إن جلست حتى ظهر والداها في مدخل الباب . اعلنت امها وهي تدخل :

- لقد اتصلنا تليفونيا هذا الصباح وقص علينا "ديفيد" حكاية القطيطة .. يا عزيزتي المسكينة ...

هزت "كاترين" راسها بينما تابعت امها الحديث:

- لقد قلنا انا وابوك : إن الأمر محزن دون شك ؛ لذلك احضرنا لك قطيطة اخرى .

اخرج "ميشيل" كتلة ضخمة من الفرو الأسود من داخل معطفه وقال بكل فخر :

- إنه اسود مثل الآخر. لقد عانينا حتى عثرنا على هذا اللون .

- اوه ! إنه فاتن .. غير أن "اليزا" خطرت ببالها نفس فكرتكم .. ولكن ماذا يهم ؟ لم يسبق لي أن احاطتني القطط .

هذه المرة كانت ابتسامتها حقيقية . اخذت القط من والدها واخذت تربته .

قالت "جريس فين" - وهي تلكز زوجها بكوعها في جانبه -:

- والدك لديه شيء يود أن يقوله لك .

ارتسمت ابتسامة مصطنعة على فم الرجل :

- لقد كنت مخطئا بشان "ديفيد" . اعتقد انه شخص طيب وهو يحبك حقا . وربما لو الححت عليه فربما انتهى به الأمر إلى أن يعمل .

انفتح باب الدخول فجاة ودخل "ديفيد دود" مسرعا وهو ممسك بين يديه قطا مفزوعا :

- انظروا ماذا وجدت ؟

- قطتي !

- لا .. لم اجدها وإنما عندما لم اعثر عليها ذهبت لتبني واحدة من جمعية الرفق بالحيوان ووصلت في اللحظة التي وجدوا فيها هذا المسكين الصغير...

ظلت بقية عبارته معلقة عندما اكتشف القطين الصغيرين الآخرين وهما يصعدان على قدمه .

شرحت "كاترين":

- احدهما هدية من "اليزا" والثاني من والدي. إن كل الناس يحبونني.

رد "ديفيد" وهو يترك القط اليتيم مع رفيقيه:

- وهل يشملني ذلك ؟

نظرت إليه بجدية . إن هذه اللحظات من الحنان هي افضل ما يوجد في حياتها ، وستتمسك بها لتنفعها عندما تصبح عجوزا ووحيدة .

طفرت الدموع من عينيها لتسيل على طول وجنتيها :

- لا تقلقوا .. إنها دموع التاثر!

كان السيد والسيدة "فين" على وشك الرحيل عندما سمعا صوت فرامل سيارة اجرة امام باب الدخول . كان القادم "اناتول" وهو يحمل سلة فواكه . ذهب "ديفيد" ليقابله فقال الموسيقار :

- لقد اكلت كل الفاكهة امس ؛ ولهذا احضرت غيرها .

- شكرا يا "اناتول" هذه حركة لطيفة منك!

تراجع الموسيقار عندما شاهد ثلاثة قطط تتدحرج فوق السلالم وقال وهو يقترب منها ويفحصها :

- إنه قطيع كامل . الم يكفك واحد ؟ ولكن اين ذلك القط ذو الجوارب البيضاء؟

- ضاع ولم نجده عندما عدنا مساء امس .

- كيف تم هذا ؟ هل نجح في الهرب من الفناء الخلفي ؟

- ماذا ؟

- الم تجدي الكلمة التي سطرتها لك؟

ردت "كاترين" هي و"ديفيد" في نفس اللحظة :

- نعم .

- لقد كان ذلك الحيوان يجري في كل مكان في رعب فقلت لنفسي : إنه ربما يبحث عن دورة مياه القطط ؛ لذلك اطلقته للخارج بعد ان تاكدت من أن كل مخارج الفناء مسدودة .

ضرب "ديفيد" جبهته براحة يده .

- إنني لم الق اي نظرة على الفناء الخلفي !

لملم العاشقان افراد محميتهما ودخلا المنزل بينما هز "اناتول" راسه وهو يعود لسيارة الأجرة .

www.elromancia.com

- لقد تركت لنا مذكرة في المطبخ .

صاح "بيفيد":

- إلى الفناء الخلفي بسرعة .

فتح الباب الخلفي فدخلت القطة الصغيرة في الحال ، واخذت تنظر إلى الرجل وهو يموء فضحك .

- إنه جائع !

لم تصدق "كاترين" عينيها . اخذت القطة وضمتها واخذت تهمس للقطة وهي في منتهى التاثر سألها:

- ياإلهي ! لماذا تبكين مرة أخرى ؟

- لانني سعيدة .

- ياللنساء !

اطلقت الشابة زفرة طويلة . لم يخطر ببالها ان الامور ستنتهي هكذا. ان تحب شخصا لدرجة ان يصبح المها المه وسعادتها سعادته ! إلى هذه الدرجة يحبها ؟! وهي تحبه بنفس الطريقة . عضت على شفتها السفلى . بالحماقتها ! ايجب عليها ان تطرد الحب من حياتها ؛ لان "بيفيد" لا يناسب فكرتها الغبية عن زوج المستقبل ؟ ذهبت إليه وعانقته.

- انت تحبني .. اليس كذلك ؟

هز الرجل راسه موافقا .

- وهل انت سعيد: لاننا عثرنا على القطيطة ؟

هز راسه مرة اخرى وهو يقبلها . فقالت :

- اعتقد انني اخيرا فهمت . لقد كنت اعتقد أن زواجي . بـ"اناتول" كان فشله بسبب اختلافنا في حين ان السبب الحقيقي هو اننا لم نكن نحب بعضنا بعضا . ربما ليس بالطريقة التي من المفروض ان يتبادل بها الزوجان الحب . ولكن زواجنا سيستمر: لان الاختلافات بيننا ليست مهمة . انت على حق لان حبنا هو الاهم .

ظل دقيقة كاملة بلا كلام او صوت ، ثم قال :

- انت سيدة ذكية لدرجة تثير العجب .

- لقد اتيحت لي فرصة تنمية ذلك الذكاء .

قال "بيفيد" وهو يبتعد عنها ليتاملها جيدا :

- انا سعيد لانك قررت الزواج بي . وإلا حرمت هذه القطط المساكين من اسرة ترعاها . من المؤكد انك تصلحين قطة ام ممتازة.

- ربما ببعض المساعدة قد اصلح اما طيبة لاسرة . الا تظن ذلك ؟

- لاشك انك ستصبحين احسن ام في العالم ، وسنراعي ان نوفر لك وقتا لاتمك "الفيولونسيل" .

يالها من سعادة عارمة . إن رغباتها التي حلمت بها دائما قد تحققت ولم يحدث ذلك إلا عندما تغيرت للاحسن . إن كل سنة بجواره ستكون احسن من السابقة ، وسينبض قلبها مع قلبه .

اجتاحتها العاطفة والاحلام التي تتحقق فاخذت تردد في عقلها: "زوجي وحبيبي ووالد ابنائي!"

لقد كانت الموسيقى تستغرق كل حياتها، ولكنها ستجد وقتا لانشطة اخرى.. ومن بينها دون شك إعداد الفطائر. وربما ايضا تتعلم ركل الكرة. ثم لماذا لا تربي كلبا حتى تجد القطط ما تعاكسه؟ ولماذا لا تزرع نباتات يقوم "بيفيد" بريها ثم عليها ان تتمتع بالحب المجنون فالإنسان لا يظل شاباً مدى الحياة. سالته:

- هل اقلام التلوين لازالت معك؟

- اتقصدين تلك التي كنا نحسب بها عدد تمرينات الاصابع؟

- إنني في حاجة ماسة لهذه التمرينات.

***

في وقت متاخر من بعد ظهر ذلك اليوم اخذ "بيفيد" يفحص بقايا الاقلام الملونة الموضوعة فوق المائدة المجاورة للسرير، ثم قال:

- يا للمساكين! لقد أوشكت على الانتهاء.

- يلزمنا علبة ألوان جديدة.

- لقد خبأت واحدة في المخزن.

نهضت واسندت جسدها على كوعها، وقالت معلقة:

- اسمع إنك لم ترني ذلك المخزن ابدا وبابه مغلق دائما بالمفتاح. ماذا تخفي هناك؟

- إنه نوع من.. الورشة الفنية.

- آه. حسنا واي نوع من الورش؟

- لنقل: إنها ورشة فنان. إن بها كمية ضخمة من الاشياء المنوعة المعزيزة علي تماما مثل: الة "الفيولونسيل" الخاصة بك.

- أحب أن أراها. إن هذا الباب المغلق كان دائما يحيرني.. لماذا دائما تغلقه بالمفتاح؟

تنهد "ديفيد":

- لإنك لو دخلت هناك امس لظللت مقتنعة انني لاصلح زوجا لك.

من حسن حظها انه رجل صبور ولم يفقد الأمل فيها.

سالته: وهي لا تقاوم رغبة ملحة ان تعاكسه:

- إذن ماذا تخبئ هناك؟ اجزاء من جثث؟

- اسوا من ذلك. لعب اطفال.

- اكثر مما عندك؟

احضر "ديفيد" مفتاحا من دولابه وقال شارحا:

- إنها تساعدني على التفكير. اعرف ان ذلك يبدو غريبا، ولكنها تضعني في حالة معنوية معينة.

توجه نحو الباب الغامض وفتحه:

- إن بعضها له قدمة فنية رفيعة، ومعظم الباقي اشياء مسلية.

صعدت "كاترين" السلم إلى تلك السدرة الغامضة خلفه وقد اتسعت

عيناها. لم يخطر ببالها حتى ولا في احلامها المجنونة ان تتصور وجود شيء يماثل ما تراه. من تجويف في نهاية السقف انبعثت شلالات من الأنوار الساطعة تضيء كل ركن في الحجرة كانت هناك كتب ولعب اطفال وسيارات صغيرة وسلة كرة سلة. مجموعة مذهلة من الألوان والأشكال، لم تر في حياتها عشا خاصا للتسلية مثلما ترى الآن امامها.

ووسط كل هذا الكم من الغرائب وجدت مائدة رسم قوية وثابتة وبجوارها قطعة أثاث متخمة بالأقلام الملونة والفرش والمساطر ومواد الإزالة وأقلام تحديد سحري وادوات اخرى فنية:

سالته "كاترين" وهي تشير إلى واحدة:

- ما هذا؟

- رشاش دهان.

- وفيم يستخدم؟

- لرسم الصور للمجلات المصورة.

اخذ "ديفيد" لوحة لم تتم من فوق المائدة.

قالت:

- اعتقد انني رايتها في مكان ما.

- لانك بدأت تشاهدين صفحات المجلات المصورة.

- آه اتذكر هذه القصة المصورة واحبها كثيرا. إنها تدور حول رجل من خارج الكرة الأرضية يقع في حب حارسة اسمها "باتي".

اخذت تنظر عن قرب في الرسم ثم سالته:

- ولماذا تقوم بتقليد الرسم؟

- إنني لا اقلد، وإنما ابتكر وارسم.

تذكرت الشابة توقيع الرسام في المجلة. وكان "ديفيد نود" فصاحت:

- هل فعلا رسمت هذا؟ لقد ابتكرت الرسم ودفعوا لك مقابله؟

www.elromancia.com

- بالضبط.

- ولماذا لم تخبرني بذلك؟

- لقد قلته لك، ولكنك لم تنصتي لي، وفي كل مرة أحاول ذلك ترفعين عينيك إلى السماء، وتقولين: نعم.. ولكن ماذا تعمل حقيقة؟ - إنني أحس الآن بانني بلهاء تماما.

- هذه ليست كلها غلطتك وكي أكون صريحا لم أكن واثقا بنفسي وفضلت الاحتفاظ بسري. إنهم وقعوا عقدا معي بشهر واحد، ولكن رسمي لاقى إعجابا حتى إنهم عرضوا علي عقدا مدة طويلة منذ ثلاثة أسابيع فقط، وأنا الآن في مفاوضات لاتفق معهم على إعداد البوم كامل. هل هذا يسعدك حقا؟

- إنني أعشق.. مخزنك! وفهمت أن الوحي يأتيك هنا.

- هل يمكنك التمرين على الفيولونسيل هنا؟

أجابت وهي تضحك:

- لا.. يلزمني مكان ليس فيه كل هذه التسلية والمباهج.

- هناك مشكلة أمامنا يا "كاترين" نحن في حاجة إلى منزل فسيح.

- نعم منزل فسيح به حجرات عديدة من أجل أولادنا...

تقبلت